

# قانون البقاء

حياة مدهشة لابن الراوي

عمرو عاشور

رواية





الأعمال الكاملة

[t.me/kotbhm](https://t.me/kotbhm)

## **قانون البقاء**

حياة مدهشة لابن الراوي

## قانون البقاء

حياة ممحشة لابن الرازي

رواية

صرو عاصور

الطبعة الأولى / ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م

مقرن الطبع مطبوعة



دار العين للنشر

٤ ممر بهار - مصر النيل - القاهرة

تليفون: ٢٣٩١٢٤٧٥ ، فاكس: ٢٣٩١٢٤٧٦

E-mail: [elainpublishing@gmail.com](mailto:elainpublishing@gmail.com)

الهيئة الاستشارية للدار

أ. د. أحمد شوقي

أ. خـسـالـد فـهـمـي

أ. د. فتح الله الشيخ

أ. د. فيصل يونس

أ. د. مصطفى إبراهيم فهمي

المدير العام

د. فاطمة البودي

الغلاف: صرو عبد العزيز

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٨/٢٠٢٥

I. S. B. N 978 - 977 - 490 - 492 - 9

# قانون البقاء

حياة مدهشة لابن الراوي

رواية

عمرو عاشور

---

دار العين للنشر

إلى الأب في عزلته

"من يحاولون البحث عن دافع في هذه الرواية، سيتم مقاضاتهم،  
ومن يحاولون البحث عن درس أخلاقي، سيتم نفيهم؛ ومن يحاولون  
البحث عن حكمة سوف يُطلق عليهم النار. بأمر من المؤلف"

مارك توين

مدخل: مغامرات هكلبيري فن

(1835 - 1910)

**(0)**



الأكلان يأكلك، يمتص دمانك في هدوء، لا بأس فأنت غذاء له. ليس لديك وسيلة للدفاع عن نفسك/دمانك غير الاستسلام، الاستسلام والانتظار.

تعتقد أنه انتهى من تناول وجبته، جرة تترك في فخذك علامة حمراء، بدلاً من هرشها تلتقط الحشرة الصغيرة وتتمعن فيها، تحاول أن تكتشف نوعها. ذكر أم أنثى؟ تدقق فتبهرك الألوان الخلابة وتداخلها العجيب كلوحات الراوي، حتى اسمها عجيب أيضًا "الأكلان"! لا تعرف لها اسم علمي، ولا تجد ما يصفها بدقة غير هذا الاسم: الأكلان.

في السابق كنت حين تعثر على إحداها تدهسها، تفرکہا بإصبعيك فتفور منها رائحة نفاذة تحبها، ولكن أمك أخبرتك أن رائحتها ستجلب عشيرتها، ثم بصقت في عبا وأضافت:  
- بسم الله الحفيظ... دول ببيجوا على السيرة.

ويبدو أنك ارتكبت حماقة بقتل الحشرة وجلب سيرتها، فبعد أيام قليلة جاءت العشيرة، واحتلت المفارش، وشقوق الجدران، وحشو المراتب والمخدات وكوّنت مستعمرة لها. ورفعت أمك راية القتال، وراحت تخوض معاركها... في البداية استعانت بالشيخ رضا، وطلبت منه أن يقرأ القرآن لإبعاد الروح الشريرة والعين الوحشة من الشقة، والشيخ رضا أعلن أن الجزء بعشرة جنيهات، وقد شرح لها فضل سورة البقرة وقال أنها تتجاوز الثلاثة أجزاء أي ما يعادل الـ 30 جنيها مصريا، وأمك لم تكن تملك وقتها غير 5 جنيهات فقط لا غير، ألحت على الشيخ أن يتقبلها، فأخذ الـ 5 جنيهات وقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة وحين انتهى من ترتيبه قال:

- الشوية بول فيهم الخلاصة بإذن الله.

ولكن خلاصة الشيخ لم تأب بأي نتيجة، فاضطرت أمك أن تلجأ إلى المبيدات الحشرية المتعارف عليها، ورشت الشقة وقفلتها ثلاثة أيام قضيتها عند ستك، وحين فتحت الشقة فإذ بالعدد قد تضاعف، وكان موت القليل من تلك العشيرة قادر على جلب المزيد، وانهارت أمك ورفعت الراية البيضاء، وكادت أن تستسلم لتلك الحشرات كعقاب إلهي على أثم بالضرورة- قد ارتكبتها. وعشتم أياها وشهوراً مع تلك العشيرة، أصبحت الشقة مملكتها الخاصة، وأنتم لم تملأوا لها سوي غذاء تنهل منه عند الحاجة، وكنت تسأل أمك: لم خلق الله الحشرات؟

وكانت تسكت ولا ترد، تتردد للحظات ثم تهمس: استغفر الله العظيم.

وأخيراً جاءت فلوس الجمعية التي نضالت أمك من أجلها لشهور طويلة، واستطاعت أن توفر فلوسها من لحم الحي على حد قولها، وتمكنت بعد القبض من أن تداهم المستعمرة بمعركة فاصلة وحاسمة، فطلبت من المنجد أن ينقل المراتب والمخدرات للشارع حتى يتمكن من عمله، وتعاقدت مع نقاش ليعيد دهان الحوائط، ولمزيد من الحيلة اشترت من المزارع مبيدات قوية تستخدم في الأراضي الزراعية ورشتها. أما الراوي فقد وجدها فرصة ليمارس هوايته الوحيدة، وانشغل مع النقاش، وانصب همه على الحوائط فراح يزينها باللوحات العجيبة. وفرشت أمك الشقة بعدما تأكدت أن العشيرة قد زالت وأن الاحتلال أبيد، وحمدت الله كثيراً وبخرت الشقة ومسحتها بالماء والملح، وأيقنت أنها -لا بد- قد انتصرت في معركتها مع الطبيعة.

غير أن حشرة جديدة تسقط بين أصابعك الآن، منحتها دمك لتستمر في حياة عبثية بلا شك. تفكر في هذه الحشرة تحديداً.. كيف كانت حياتها تحت الإبط وبداخل الشقوق؟

الجمع والالتقاط

(1)

أتوسل لأبي:

- هات 50 قرش أجيب أكل.

يرد هو بهدوء:

- مش معايا..

الجوع يمزقني، والفلوس تطل علي من جيب جلبابه العلوي.  
أشير ناحية الفلوس.

- الفلوس في جيبك أهي.

يقبض على فلوسه/ قلبه ويقول بحدة:

- طب معايا ومش هاديك.. انت شريكي؟

اعلم أنه لا شريك له، وأن النقاش لن يجلب عليّ سوي اللعنات  
والطرْد والإهانة، ورغم ذلك يدفعني الجوع للصرّاح:  
- جعّالان.

يحمر وجهه بغضب فانتظر لكمة على صدغي. بدلاً من ذلك  
يصرخ هو أيضًا:  
- إن شالله تموت من الجوع.

تخرج أمي من الحمام، وطرف الجلبيّة عالق في لبسها، تنزل  
الجلبيّة وهي تحاول التهدئة:  
- صلوا على النبي كذا واخزوا الشيطان..

يهدأ حين يسمع اسم "النبي"، يرتاح وجهه، ويردد بنبرة ولي:  
- ألف صلاة عليه... خليه يغور من وشي.  
تسحبني من ذراعي، وتدخل بي الحجرة الوحيدة، تهمس في  
أذني:

- غضب الأب من غضب الرب.

- بس أنا جعّان.

تطلب مني أن أصبر فبعد الصبر فرج.

- بس أنا شايف الفلوس في جيبي، واللا هو فالح بس يجيب بيها  
أفيون ويصرفها على كيفه.

تُدعِر، تَضَع كَفَهَا عَلَى فَمِي، وَتَهْمَسُ بِهِلَع:

- لو سمعك مش هيصصل طيب، اخرج، روح الجامع وادعي له، يمكن ربنا يسمع منك.

أخرج من الغرفة، فأجد "ناجي" يجلس على الكنبه البتيمه إلى جوار أبي، بنفس راضية يناوله علبة سجانر سوبر، فيشكره أبي على طريقته.

- روح يا بني ربنا بيعت لك مصيبة تاخذك..

ويبصق على وجهه. يمسح ناجي البصاق.

- ربنا يسامحك يا أبا..

- ربنا يولع فيك بجاز وسخ يا بني..

أمشي في الشارع بمحاذاة ناجي وأنا مستغرب. مستغرب وجائع.

- ليه بتعامله كذا؟

- رضا الأب من رضا الرب.

يقولها بتلقائية ثم يسألني:

- انت جعان؟!

- ميت.

- طب تعالى..

نَظف عند منزل الكوبري، أراقبه وهو يتابع حركة السيارات  
بتركيز شديد. لا أعرف ما الذي ينوي فعله. فجأة يسحبني من كتفي  
ويهتف:

- باللا..

يلحق بسيارة نصف نقل مغطاة ومحملة، يتشبث بمؤخرتها،  
أحاول اللحاق به أنا أيضًا، يمد لي ذراعه فالتقطته، وأقفز على  
رفرف السيارة. قبل أن أستوعب ما يدور يكون هو استخرج مطواة  
من جنبه، يفتحها بمهارة ويشق بها الغطاء وهو يقول:

- افتح عبك..

افتح عبني، يُخرج من تحت الغطاء برتقالًا، يصبه في عبني،  
ويمد يديه مرة أخرى فيستخرج موزًا، أتابعه بفرحة من دخل الجنة  
بعدما مات جوعًا. تفرمل السيارة، ويخرج منها السائق، يشدني  
ناجي.

- اجري.

وأجري بكل قوتي، حبات البرتقال تنزلق من عبني، تسقط واحدة  
وثانية وثالثة، والرجل خلفي بلا شك، كنزي/وقود الحياة يتسرب  
مني، أحضن ما تبقى. أسمع صوت السائق من بعيد.



- يا حرامية يا ولاد الكلب.

أتجراً وأتفتت فأراه يجمع حبات البرتقال من على الأرض، أحس  
بأنني ابتعدت عن الخطر بقدر كاف، أدخل من الشارع الجانبي الذي  
دخل منه ناجي.

يلهث، يلهث ويضحك، الهث بدوري وأقول:

- الله يخرب بيت أمك كنا هنروح في ستين داهية..

يضحك، ثم يسألني:

- اوعى تكون الحاجة وقعت منك؟

أفتح عبي.

- البرتقال بس.

- أها!

نقعد على الرصيف، نقشر الموز ونأكل.

- بس دا مش أكل حرام؟

أتساءل والموز يذوب في فمي، يبيل ريقني، ويسد جوعي، ويمنحني  
سعادة طارئة.

- حرمت عليك عيشتك.

يضع آخر موزتين في كيس أسود، ويلفهما جيدًا، لا أزال جانبا،  
موزة واحدة لا تكفي. أتوسل إليه:

- ما تخليك جدع وتدينني واحدة ثانية.

- واحدة لأبوك وواحدة لأمك..

ونمضي..

## (2)

سيارات النقل التي تأتي من سوق العبور إلى سوق روض الفرج لها مواعيد محددة، أما الجوع فلا وقت له، ينهش كصاحب نين مزعج، بل هو أشد ضغطاً وإحاحاً وإزعاجاً، هو ابتلاء كما تقول أمي، أما أنا فقد كان الجوع هو وحشي الأشرس، وكان لا بد لي أن أهزمه، أهزمه كلمة غير دقيقة بالمرّة، وليست معبرة أيضاً. اعتقد أن الكلمة الصحيحة هي أروضه، أن أطعمه عند الحاجة، كان لا بد أن أجد وسيلة فعالة لترويضه، وكان عليّ أن أفكر، وفكرت في "البون"؛ وقتها كانت المحلات تتعامل بـ البون، البون دفتر صغير جداً، هو همزة الوصل بين الكاشير والبايع، الكاشير يكتب على البون ويناولُه للزبون، والزبون يناول البون للبايع، والبايع يعطي المشتريات للزبون، وكان البون موجوداً بكل المكتبات

والحمد لله، وكان ثمنه لا يتجاوز الـ 20 قرشا ورغم ذلك سرقة ناجي من المكتبة مع تشكيلة مختلفة من الأقلام المتداولة، وكنت أنا الكاشير، وناجي الزبون، والبائع على حسب ما نريد.

نقف بالقرب من محل الكشري، أعرف خط الكاشير والقلم الذي يستخدمه، أختار القلم المناسب وأكتب على البون  $75 \times 2$  وأوقع بطريقة الكاشير، وأحياناً يتدخل ناجي ويطلب إضافة "تقلية زيادة" أو 2 رز بلبس، فأضيف الملاحظة ويمضي، ثم يعود بالطلبات، نجلس على الرصيف ونأكل، وحين ننتهي من الأكل يمسح فمه بطرف الفانلة ويقول:

- اتغدينا... تعالى بأه نحلي.

وندخل السوق، بالقرب من محل الآيس كريم، أكتب في البون:  $1.5 \times 2$  شيكولاتة ومانجو.

يسحب شجرة معترضة.

- أح! انت هتاكنني على مزاج ديك أهلك؟ أنا عاوز فراولة وشيكولاتة..

أمزق البون القديم، وأعيد كتابة آخر. يأخذه ويعود إليّ بالآيس كريم. بين يدي البون، بين يدي العالم.

### (3)

في مرة كدت أن أموت من الرعب فعلاً، الخوف وحش آخر.  
يومها أخذني إلى الشارع العمومي، أخبرني أنه يرغب في سرقة  
تلك المقلة بالذات. لماذا تحديداً؟

- كلها عيون وطريقها مش سالك.

استغربت.

- مش فاهم؟

- اللعبة الصعبة ممتعة..

وقبل أن أستوعب منطقته، قال.

- استنى هنا.

تركني للحيرة وعبر الشارع، ارتجف قلبي، وتخيلته تحت أقدام العمال، في المقلة خمسة أو ستة عمال، وعلى ناصية الشارع الرئيسي، والحركة بالشارع مزدحمة، ومع ذلك يقرر المغامرة بلا معنى! البون في جيبي، فلماذا يترك العالم الذي يملكه ويأكل من الشجرة المحرمة؟ أرقبه من مكاني هذا، يدخل المقلة، ويخرج، يساعد الزبائن، هو الآن في نظر الزبائن عامل بالمقلة، وفي نظر العمال زبون متعاون جدًا، لدرجة الإجهاد، يخرج من المقلة، ينقل بصره بين المعروضات بالخارج، تسقط عيناه على صناديق كانز بيبسي، يقعد عليها ليرتاح، يقوم ويرحب بزبون ويداعب طفلة مع والدها، يجلس مرة أخرى، يمسح عرقه، يقوم، يلف، ينحني، يشيل صندوقًا، يمشي به في هدوء، يزداد التوتر عندي، أجد نفسي أعبر الشارع وألحق به، فجأة يجري ويدخل شارعًا جانبيًا، تأكلني الحيرة بأنياب الخوف.. لو جريت قد ينكشف أمري، ولو انتظرت لضاع مني. وقلت سامشي على مهل حتى أدخل الشارع وبعدها طيران، وأنا طائر أسمع من ينادي علي.

- عادل.

نداء خاطف أعرفه جيدًا، أتسمر وألتفت فأجد ناجي يقف بين سيارتين تحت الإضاءة المنعدمة، أقترب منه، يمسح عن جبهته عرقًا حقيقيًا هذه المرة، يلتقط أنفاسه بصعوبة وبيتسم ويتساءل:

- حد خد باله.

- أبداً.

يضر بني على كتفي.

- عشان تعرف إن أخوك برنس.

أنظر إلى الكنز العظيم وأتعجب، أتعجب وأنا سعيد، تلك الزجاجات كانت حلما بعيد المنال، وكنا نراها في إعلانات التليفزيون ونتمني من الله أن يهبنا واحدة، ليس لكونها زجاجة بيبسي، ولكن من أجل "الكانز"... وكان مجرد حصولك على تلك العبوة نقلة اجتماعية يحسدك عليها الأعداء والأحبة. ونحن الآن نملك جبلا من "الكانز"...

- هنعمل به إيه دا؟

تساءلت. يرفع الصندوق، ويثبتته على كتفه، ونمشي:

- هما بيعملوا بيه إيه؟ مش بيتمنظروا بيه؟ إحنا كمان نتمنظر

بيه.

تروق لي الفكرة فوراً، أجل... لقد تجاوزنا أمر الجوع ودخلنا على المنظرة، ولكن، نتمنظر على مين؟

- على خلق الله... بُص يا أسطي إحنا بكره ناخذ أبوك وأمك ونروح جنينة الحيوانات... عشان المنظرة تبقى على الخلق تماماً...  
بشر وحيوانات...

أمتعض من الفكرة، أبي سيكدر صفو اليوم.

- بس أبوك مش هيرضى يجيبي..

- يبقى ياخذ حقه ناشف وخليه في البيت... بس أمك لازم تجيبي

معانا.. من حقها تتمنظر هي كمان..

ولكن منظره أمي فاقت التصور في الحقيقة. كنا قد جلسنا في المنطقة الأكثر ازدحاماً، هنا يمكن أن نعمل اللقطة، اخترت أنا فاتنا واختار هو البيبسي، وفتحنا الكانز، وكان ناجي قد رج العبوة قبل فتحها كي تشعل الحدث، وبالفعل انتبه الجميع لنا، وعرفت الحيوانات في الأقفاص والطيور التي على الشجر وحراس الحيوانات وعامل النظافة والرواد أننا نشرب كانز، ولم يهتم أحد على الإطلاق، وأحبطنا. وقلنا نتمشى قليلاً وبين أيدينا صفائح الكانز، كطاووسين نتمخطر، ننظر للناس من حولنا بترفع، ندعي أننا نثرثر، وأن هناك ما يشغلنا عن الناس ويجبرنا على الترفع عن حولنا، ونحن في الواقع لم ننشغل غير برد فعل الناس، والناس منشغلة بأشيائنا الخاصة جداً، يحط علينا الإحباط مرة أخرى، ونقرر أن نعود إلى حيث تجلس أمي، ويعلق ناجي:

- دي عالم بنت قحبة... إحنا نروح نبيع بقية الصندوق لأي

كافتيريا هنا ونرتاح من أمه.. ملح كتفي على الفاضي.



ونستمر في المشي فتقابلنا امرأة وطفلتها وبين أيديهما الكانز،  
بعد خطوة طفل آخر بعبوة كانز، وطفلة، وامرأة، وأسرة كاملة! ما  
الذي يحدث؟ يضر بنا الاستعراب، نقترّب من مجلس أمي، نجدها  
افترشت الأرض وراحت توزع على من حولها...

- أها... إيه دا يا أما؟! -

وكان ناجي قد سحب قلبها شخرة غاضبة، تقول أمي:

- خلي الناس تتبسط عشان ربنا يحبك.

## (4)

إذا كان أبي قد حرمني من كل شيء ف ناجي لم يحرمني من أي شيء... منني بالحياة وحول أصعب أوقاتي إلى مرح وتسلية.

في التاسعة من عمري تقريبًا، لعب وحيدًا عند قضبان السكك الحديدية، أراقب النمل وهو يمشي في طابور منظم، يعمل بجهد ونشاط من أجل قوت يومه.

أفكر في مساعدته، أتبع الطابور حتى أصل إلى المنبع؛ كيس حلوى ينهلون منه. ألتقط الكيس وأمشي به إلى نفق النمل، بالداخل مستعمرة كاملة يؤدي فيها كل فرد دوره. أترك الكيس أمام النفق، وأفكر أنني بتلك الطريقة قد رفعت عنهم عناء يوم عمل، وربما عدة أيام.

يدا همني ناجي:

- بتعمل إيه؟

- بساعد النمل.

يدهس بقدمه عشرات، وربما المئات من تلك الحشرات. مذبحه  
بلا شك يروح ضحيتها الكائنات الأصغر.

- ليه كذا؟ حرام عليك!

- يا ض انت دماغك مهوية؟

أسكت، وقد ضربني الحزن. يلاحظ ضيقي.

- انت زعلت؟

لا أرد.

- طب قولي نفسك في إيه؟ مش أنا الجن بتاعك؟

أبتسم رغماً عني.

- نفسي أروح حمام السباحة اللي في نادي الترسانة.

كنتُ قد سمعت به من العيال، كانوا يحكون عن النادي وعن  
حمام السباحة الكبير. وتمنيت أن أذهب إليه ولو لمرة واحدة فقط.

- انت معاك فلوس؟

سألني.

- منين؟

أرد على سؤاله بسؤال.

- وانت؟

يستخرج من جيبه ورقة مالية فئة الـ 10 قروش..

- معايا بريزة..

اتساءل بيأس:

- يعني مش هنروح؟

يجيب بيقين:

- هنروح، وهنقضي يوم عجب.

ياخذني إلى الشارع العمومي، شارع الوحدة، نقف عند محطة الأتوبيس، حين يلمح أتوبيس 196 ينطلق نحوه، فأتبعه، نتشعب ونقف على باب الأتوبيس ونرفض الدخول، يأتينا المُحصل ويطلب ثمن التذكرة، فيقول ناجي:

- نازلين المحطة اللي جايه..

تمر المحطة، وتمر الأخرى دون أن ننزل، والمُحصل منشغل عنا بالركاب. عند النادي يقفز ناجي من الأتوبيس ويشدني معه.

نمر من الشارع الواسع، ونصل إلى بوابة النادي الرئيسية. على البوابة أفراد الأمن متحفزون لأمثالنا، يدققون في بطاقات العضوية التي يبرزها الأعضاء. يقترح ناجي:

- تعال نلف لفة.

نلف حول النادي، نبحث عن ثغرة نعبر منها، النادي كقلعة حصينة، فكيف نقتحمها؟ أنا سريع اللباس أما هو فالأشياء الصعبة تثير حماسه، والمستحيل لعبته المفضلة. أقول:

- مافيش فائدة.

- هتدخل يعني هتدخل.

يقولها بإصرار. أستسلم لإصراره. البوابة الخلفية للنادي عملاقة ومغلقة، وبين الأرض والبوابة فجوة. ينحني ناجي ويطل من خلال الفجوة، يرمي بالعشر قروش داخل النادي، أستغرب، وأخمن خطته فأعجز. ينبطح أرضاً، يحشر جسده بين البوابة والأرض، يزحف كجنود الساعة. يختفي، بلا تردد أفعل مثله، جسدي الضئيل يساعطني، لا أواجه الصعوبة التي واجهها ناجي، أطف بسهولة، فأجده واقفاً فوق رأسي، أقوم، وأنفض ملابسي، وأجول ببصري في المكان بسعادة، لقد فعلناها! أسأله:

- طب رميت البريزة ليه؟

- عشان لوحد قفشنا أقوله البريزة طارت ودخلت جوه أجيبها.  
حجة غير مقنعة ولكنها فعالة، مجرد مبرر أو دافع ليس أكثر.  
يستوقف شابًا ويسأله:

- فين حمام السباحة؟

يشير الشاب المتشكك ناحية بناية قريبة ويمضي. عند البناية  
تواجهنا عقبة أخرى، حمام السباحة بداخل البناية، والبناية محاطة  
بسور أسمنتي عال جدًا، والعبور من البوابة أصعب مما كنا نتخيل،  
فالباب ضيق ولا يمر منه غير الأعضاء فحسب، ورجال الأمن  
عند البوابة في غاية الدقة والحذر. أقول لنفسي: سوف يعثر على  
وسيلة بكل تأكيد.

وبالفعل نجدها؛ هناك باب خلفي ملحق بالكافتيريا، من هذا  
الباب ذي الأسياخ الحديدية تدخل بضائع المطعم عند الحاجة ثم  
يتم إغلاقه فيما عدا ذلك، وقد كان مغلقًا بالجنازير. يصعد ناجي  
درجات السلم، يرمي بورقة العشرة قروش إلى الداخل، يحشر  
جسده بين الأسياخ الحديدية ويمر، وأمر أنا أيضًا بنفس الطريقة...  
المكان كأنه الجنة، النساء منتشرات حولنا شبه عاريات كحور  
العين، ونحن كاثنين من الشياطين دخلا الجنة خلسة! لا أحد غير  
النساء والمزيد من النساء والمزيد من النساء...

ندخل غرفة تبديل الملابس المخصصة للرجال فلا نجد بها غير اطفال، ونساء أيضًا يبذلن الملابس لأبنائهن. ويكاد ناجي أن يُجن من الفضول.. يا إخوانا إيه الحكاية؟ ونكتشف أن لحظنا السعيد إن يوم الثلاثاء مخصص للنساء، النساء والأبناء... هل يوجد في العالم من هو أكثر سعادة منا؟ نخلع ملابسنا، ونقومها في كيس بلاستيكي أسود، يركنه ناجي بجوار الحائط، أقلق.

- بس الهدوم كدا ممكن تتسرق؟

يسحب شخرته المحببة ويقول:

- أها... ساعتها هخلي النسوان دي كلها تروح ملط.

أنا مؤمن تمامًا بأن ناجي قادر على فعل ذلك، أتخيل النساء وهن يخرجن من النادي بملابس الاستحمام، وأنهن يمشين في الشوارع عاريات، وأخمن كم من مواطن سيمتن لناجي ويمتن لفعلته.

نخرج، ونجري نحو حمام السباحة ونقفز، نحن نجيد السباحة، كل العائلة تجيد السباحة، نغطس، ونعوم حتى نصل إلى الماسورة، نقبض عليها ونضحك، نلعب لعبتنا المفضلة، نغطس في نفس الوقت، ونراهن أن من سيخرج أولاً سيكون الخاسر، أكنم نفسي، وأشتت تفكيري بالعد العكسي، أحس بأن ناجي يخدعني، وهو دائمًا ما يخدع الجميع. الهواء ينفذ من صدري، أحاول أن أتحمل المزيد،

لا أستطيع، تشق رأسي المياه، ألهث، ناجي لا يزال تحت المياه، أرفع رأسي لأعلى وإذ بفتاة جميلة وبيضاء وممتلئة تقف عند حافة الحوض، فوق رأسي بالتمام، تستعد للقفز. يخرج ناجي، أغمز له، ينظر إليها ويعض على شفته السفلية بهياج. الفتاة ترتدي مايوها من قطعتين، أري من موقعي هذا شعر عانتها. ترفع ذراعيها نحو السماء وتقفز. تغطينا المياه فتزيد من شهوتنا، نعوم، وتقبض بدورها على الماسورة. على الفور يترك ناجي الماسورة ويدعي الفرق، أعرف أنها حيلة، ناجي يجيد اختيار الأهداف، ولا يرضى سوي بالأفضل دائماً، وأنا مجرد تابع، مشاهد من بعيد، مشاهد ومستفيد، أشارك بسلبيتي وأرضى بنصبي أيًا كان. الفتاة بتلقائية تساعد، تحضنته وتحاول أن تجعله يمسك بالماسورة، يحتضنها هو أيضاً. كثيراً ما كنت أتمنى أن أكون في مكانه، ولكن في تلك اللحظة تحديداً تمنيت أن أكون هو، أن أدفن رأسي بين نهديها مثلما يفعل الآن، وأن ألتف حولها، أن أكون بداخلها.

أسمع صوت صغير، أنظر إلى مصدر الصوت، أنتهي، مُدربة، مسنولة من النادي، تشير لناجي أن يخرج، فيخرج وهو يلهث ويستعبط، تساله:

- هنا مكان الكبار.. فين مامتك؟

هو في نظرها مجرد طفل، يتقمص دور الطفل فوراً، يقول ببراءة.



- ماما تحت..

- وإيه اللي طلعتك انت فوق؟ انزل لمامتك، وإلعب تحت مع الأطفال اللي في سنك.  
- حاضر.

يقولها كطفل حقيقي، يمشي، وينزل إلى الدور السفلي. أخرج من الحوض، وأمشي أنا أيضًا، بالأسفل أشعر وكأنني آدم حين طُرد من جنته، آدم لم يكن يملك من النساء غير حواء، وقد اصطحبها معه. أما أنا فقد كان تحت نظري العشرات من النساء، باختلاف أحجامهن. وتحت لا يوجد غير حوضين للسباحة، واحد للأطفال أقل من خمس سنوات، والثاني مناسب لمن هم في عمرنا... طفولة برينة وساذجة وهي صفات أبعد ما تكون عنا! يحط علينا الإحباط أقول لناجي:

- كان لازم تحكها بروح أمك.. اتفضل بقى أدينا هنقضي اليوم مع العيال السيس دي.

غير أن ناجي يجد لنا تسلية عجيبة، يغطس، ويبعبص العيال، والعيال تصرخ، ويصرخ هو أيضًا ويقول لهم:

- أوعى الكابوريا.

ويغطس مجددًا، ويقرص البنات من مؤخراتهن وأفخاذهن،

والبنات يصرخن، وأنا أضحك ولا أفعل مثله. نستمتع تمامًا ونضحك من قلوبنا بينما يتضايق الجميع ويفرون ضجرًا من حولنا.

وقت الراحة نوشك أن نموت من الجوع، أجلس على طاولة وأرتجف من البرد، يغيب ناجي ويعود بسندويثات شاورمة وبطاطس وبورجر، لا أسأله من أين أتى بها، فالإجابة دائمًا معروفة.

نعود إلى البيت بعد يوم ممتع وطويل، لا نزال نحفظ بالعشرة قروش، وبقايا الطعام والشهوة.

## (5)

رمضان مزعج نهارًا مبهج ليلاً... في هذا الشهر يتوقف ناجي عن رذيلته، يتذكر فقط أن السرقة حرام في شهر رمضان، هو شهر الخير والبركات وربنا سوف يرزقنا بلا شك، وكان يأتي الرزق من مائدة الرحمن المنصوبة بالشارع العمومي. تذهب أمي بعد صلاة العصر وسط حشد من المتسولين وتنتظر دورها، وتعود مع الغروب، وقت الأذان، الناس تصلي المغرب وهي تدخل بالمعلبات، طبيخ ولحوم، وتنادي على أبي. يكون هو أكثرنا تأهبًا، يحمل عنها الصينية ويضعها على الأرض، ويلحق ناجي بهما. وأنا فسي مكاني، على الكنبة أتفرج على بوجي وطمطم، وأتابع حياتهما الجميلة الخالية من الأب والأم، وأفكر في الراوي، في سلطته وجبروته، وقداسته التي وهبتها له الطبيعة. الطبيعة أم القدر؟

يتناثر الطعام من فم أمي وهي تقول:

- برضه مش هتنزل تفتطر... أوعى تكون قرفان؟ دول جاييين

طباخين إيه يا واد يا عادل..

وتغمز للراوي:

- ما تقول له يا راوي..

بمضغ، ويصق كلمته المعتادة.

- حطي في بوء أمك خرا.

وتحط في فمها لقمة وتمضغ المرارة والإهانة، وأفكر أنا: لم أتعف عن طعام المائدة؟ هل أنا قرفان فعلاً؟ ليس هناك أقر من أمي، ومع ذلك أحب طعامها وأشتهيه؛ أظاقرها دائماً طويلاً ومتسخة، والبربور لا يجف من أنفها أبداً، وعندها لزمة في الكلام فغالبا ما تنهيه بزرطة معتبرة ثم تضحك. وها هي تضحك الآن، ويضحك أبي، ويضحك ناجي... ويقرصني الجوع. أقوم، وأفتح برطمان الليمون، وأملأ الطبق وأكل. وتمصص أمي شفيتها وتتحسر.

- بذمتك أنت مش واد خايب..

ويهز الراوي رأسه وهو يفترس قطعة اللحم.

- اللي ياكل على ضرسه ينفع نفسه..

لماذا لم أكل معهم؟ حتى الآن يصعب عليّ الإجابة.

\*\*\*

بالليل نشترك في الدورة الرمضانية... وهي التي يشرف عليها الـ "نُص"، نصف إنسان يعشق كرة القدم. يكبرنا بأعوام ولكن ضالة حجمه جعلت منه مزحة، يعجبني فيه إخلاصه للا شيء، مخلص لكرة القدم وخلّاص، مخلص بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. ولكن بلا هدف، جسده يعوقه على اللعب بمهارة، لم يكن يجيد اللعب من الأساس. وكان من عادته في كل رمضان أن ينظم دورة الشوارع، يتكفل هو بثمان الكأس والميداليات في سبيل أن يكون حكمًا للمباريات، وكان حكمًا لا يفوته شيء، صارما، ومحافظا على قوانين اللعبة لأقصى مدى، ومتسلطا، ومتعصبا للا شيء! وكان لا بد لنا أن نكون فريقا، وسمى عمرو ودنه نفسه عمرو الشبح وقرر أن يكون حارس مرمى، وأطلق ناجي على نفسه البرنس، مع العلم أنني حذرتُه وأخبرتُه أن هذا اللقب ليس له علاقة بالرياضة ولا بكرة القدم. غير أنه أصر. وبولة وبلص ودءمة احتفظوا بأسمانهم بينما نور ابن الصعايدة اختار لنفسه الشعاع.

واشتركنا في أول مباراة، وأظهرت الكتيبة أداء مشرفا وخرجنا من الشوط الأول خاسرين 4 - 3.

نفكر أننا في الشوط الثاني سوف نقهرهم، خصوصا وأن الشبح ودنه سابقا- قد أظهر مهارة فعلية في حراسة المرمى، والإخوة

مهرة في الكرة من الأساس، والبرنس مارس اللعبة بعنطزة، فتسبب في خسارتنا، وعليه أن يعود إلى لقبه القديم "فوريرة" فأبحنا في أمس الحاجة لصاحب هذا اللقب، يبدو أن ما أقوله قد نال من حماسهم بالفعل، فقد استعادوا روح الكتيبة، وانطلقوا إلى مواقعهم مستعدين للتحدي. غير أن ظهور فلكنس أفسد كل شيء، كأننا كنا نواجه كابتن ماجد شخصيًا، أنا عن نفسي أدخل بي ثلاثة خرومات، وتسبب في سحلي، وكاد أن ينقصم ظهري. تقريبًا مرطنا، مرطنا ترقيص وانتصر علينا بأربعة أهداف أخرى.

لا بد أن نرحل من هنا حالًا. تنهال علينا التعليقات الساخرة، نبدو كفرقة مهرجين فشلت في عرضها بعدما انكشفت كل حيلها. نعد على طريق السكك الحديدية، في هذا الملعب كانت التدريبات والعزيمة والحلم، واليوم خيبة أمل تفرش الدنيا، يسحب ناجي شخرته البانسة.

- أها البرنس يلبس خمسة كباري وبعبوص..

رغمًا عني أنفجر في الضحك.

- انت بتضحك على إيه؟

أهز رأسي وأضحك، نحن في الأصل نلعب، صحيح إبحنا اتعمل معانا الجلاشة غير أنها في النهاية مجرد لعبة.

- وأنا بقى مش بحب الخسارة، وهاخذ الكاس.

فأكتم الضحكة هذه المرة، يتدخل بلص.

- لسه فيه ماتش تانى...

يهدأ ويستكين. يتساءل باهتمام مدير فني.

- مع مين؟

يرسم بلص على الأرض الرملية.

- هما ثلاث مجموعات، كل مجموعة فيها ثلاث فرق..

- أخلص يعني مع مين؟

يقولها ناجي بنفاد صبو.

- مع حسين الأعرج.

ينتفض ناجي من السعادة والتفاؤل.

- أهو دا فريق كحيان. والكابتن بتاعهم أعرج.

يتدخل عمرو الشبح.

- يا ابن العبيطة ما احنا هنرجع نلاعب العيال دي، وهمعلوا

معانا نفس النمرة.

- على الطلاق أغز الواد فلكس دا واللا أخطفه.

يقولها ناجي بيقين: أهتف.

- بيبو.

بيبو زميلي في المدرسة، وشريكي في الدكة، وأحرف لاعب صادفته في حياتي، رغم سنه الصغيرة إلا أنه يشارك الكبار في لعبهم، والمدرسون وقت المباريات المهمة بينهم يتنازعون عليه، فهو ضمان أكيد للفوز بأي مباراة. وذهبنا جميعًا نرجوه أن ينضم لفريقنا. ورفض. فنحن في نظره مجرد صبية لا نجيد اللعب باحترافية مثله. تغطينا سحابة من الخيبة. غير أنه يقترح.

- ممكن اللعب معاكم بس هجيب قردون يلعب معايا هجوم.

قردون صديق بيبو الأنتميم، معًا يشكلان هجومًا قويًا لا يقدر أحد على صده، يلعبان بشكل متناغم وفي غاية التفاهم، نفوز بالمباريات الواحدة تلو الأخرى، ويتكفل الشبح بحراسة المرمى، بينما نبقى نحن في الدفاع، في الحقيقة دورنا غير فعال، وقليل ما تصل إلينا الكرة فنمررها لـ قردون أو بيبو ومنتظر هدفًا بديعًا.

في المباراة النهائية، ليلة الوقفة، اللقاء المرتقب بين فريقنا وفريق فلक्स.. قبل المباراة بساعات لا نجد لـ بيبو أثر، نسأل عنه في البيت، وفي الملعب الكبير، وعند بتوع المراجيح دون فائدة. نسأل والدته فتقول إنه سافر إلى المنصورة مع أبيه، وأنه لن يعود



إلا بعد قضاء إجازة العيد. نسقط في ورطة... هل علينا مواجهة التحدي من جديد؟ مواجهة المأساة؟

نبذل كل ما نستطيع. توشك المباراة على الانتهاء والنتيجة 5 - 1 للفريق المنافس، والجون اليتيم لم يكن سوى خدعة من ناجي، وباقي القليل وتنتهي الدورة ويحصل فريق فلक्स على الكأس والميداليات، ويطلب ناجي أن يتم استبداله لأنه مُتعب ومُصاب بشد عضل، ونستبدله، ونواصل اللعب المهين حتى تعلن صفارة الـ "نص" انتهاء المباراة والدورة بأكملها، وتنزل الجماهير وتحتفل بالنصر، يلتفون حول فلक्स ويحملونه ويحذفون به إلى أعلى، وفلक्स طائر من السعادة، ونحن ننسحب كأبي خاسر منهزم. ويصرخ الـ "نص" ..

- فين الكأس والميداليات؟

وينتبه الجميع له وقد غطتهم دهشة عامرة، وكان قد وضع ترابيزة ورص عليها الكأس والميداليات كما يجري في الدوريات المهمة والحقيقية، وكان يستعد لتتويج الفائزين غير أن الأشياء اختفت، تبخرت.

عند السكك الحديدية، أنحني كما انحني بلص وبولة ودءمة والشبح، أمام ناجي، يضع في رقبتي الميدالية كأنها عقد من الزهور. ثم يرفع الكأس بسعادة المنتصر. أجل لقد انتصرنا.

## السيرة الذاتية للسيد "ز"

## (1)

تقول أمي:

- هنروح المولد.

أفرح ويفرح ناجي أيضاً، لم نزر المولد من قبل غير أننا احببناه من أوبريت الليلة الكبيرة... هناك السيرك والمراجيح وباعة الحلوى، ونحن نحب السيرك والمراجيح والحلويات. تصر أمي على أن نرتدي الجلابيب البيضاء دون ملابس تحتيّة رغم برودة الشتاء. نركب أتوبيس السيدة عائشة، تماطل أمي مع الكمسري في ثمن التذكرة، تقول:

- دول لسه صغيرين... مش هادفع غير تذكرة واحدة.

والكمسري يمل من عناد أمي وزنّها.

- هاتي اللي تجيبه يا ست وخلينا نخلص.

تدس يدها في صدرها، تفتح صرة الفلوس، وتنتقي منها ورقة فئة العشرة قروش، وتمدها له، يتناولها ويقلب فيها بتأف. الورقة مهترنة، ومغسولة من قبل، ومقطوعة من عند الطرف.

- شوفلنا واحدة تانية بدل اللي دايس عليها القطر دي.

تزعق.

- مافيش غيرها.

يمضي متضايقًا ليستأنف عمله. تجلس هي وتتكوم نحن على حجرها. تيار بارد يتسرب إلى مؤخرتي ويلسعها، لا أبالي.

ندخل المولد المزدهم بخلق الله، أتأمل ما حولي بدهشة تليق بطفل. يشير ناجي نحو بائع العرق سوس، ويطلب كوبًا، تخبطه أمي على كتفه.

- مش هنجيب حاجة.

يتساءل بحيرة وغضب.

- أومال إحنا جايين ليه؟

لا ترد. تسحبنا وتقف بنا في طابور طويل من العيال وأولياتهم، الطابور ينتهي بخيمة، يدخلها الطفل بتوجس ويخرج منها شبه ميت،

ويستقبل بزفة من الزغايد والتهاني. ولكن صوت الصراخ القادم من الخيمة يعلو على أي بهجة. أحس بالخوف يحتويني، يحتضنني كأنه يتشبث بي، كأنه خائف هو أيضًا. أتطلع إلى أمي فيواجهني وجهها الجامد، الحاد، المحايد. أنقل بصري إلى ناجي، أجد حائزًا ومخضوضًا ومترقبًا. في لحظة أفكر في الهرب، في أن أفلت يدها القابضة على معصمي بقوة وأجري، أتخيلني قد هربت بالفعل، وأنني وسط الزحام تائه. نتقدم خطوة أخيرة، نقف عند باب الخيمة مباشرة، يسألها الرجل الواقف عند ستارة الخيمة:

- الاتنين؟

ترد.

- أه..

يفتح كفه أمامها.

- عشرين جنيها..

تنصعق، تضرب على صدرها وتشهق:

- ليه؟

يلح الرجل:

- التسعيرة كدا.

تفرد ورقة بعشرة جنبيها وتلوح بها. يقول بإصرار.

- ماينفمش..

تضيف ورقة بخسمة جنبيها.

- طب خد.. وما تفتحش بوءك بكلمة زيادة..

نون كلمة زائدة يزيح الستار ويسمح لنا بالدخول.

بالداخل ينتظرنا الحلاق في بالطو أبيض وطويل، أمامه العدة، وحوله المساعدون، ثلاثة رجال أشداء كأنهم زبانية جهنم، ترمي أمي بالسلام وتقول:

- عاوزه أطاهر العيال دول..

يشير الحلاق نحو ناجي ويطلب منه أن يقترب. يتشبث ناجي بطرف جلباب أمي ويرفض، ينقض عليه الزبانية، يحملونه ويقدمونه للحلاق كأضحية. يرفض ناجي ويصرخ بلا جدوى. يطلب منهم الحلاق أن يرفعوا جلبابه، يمسك الرجل ببتاع ناجي. أموت أنا في جلدي، إنني مشئت بين الفضول لمراقبة ما سيحدث وبين الخوف، أفتح عينا وأغلق أخرى. يرفع الحلاق شفرته وينزل بها على عضو ناجي. صرخة ناجي تقتحمني وتهزني، أصرخ بلا صوت وأنتم لأنني لم أهرب في اللحظة المناسبة. يرمي الحلاق بقطعة اللحم الزائدة، ويلف العضو بشاش أبيض. يأتي دوري، يزداد الندم: لم لم أهرب؟ أتوسل لأمي باكياً.

- أنا عاوز أروح البيت..

تملس على شعري.

- دا عشان تبقى راجل.

أفاوضها بصوت ينتحب.

- مش عاوز أبقي راجل.. أنا كذا كويس.

ينقض عليّ الزبانية، أنا أضعف وأصفر حجمًا من ناجي، يحملونني بقسوة، أرفس، أحاول أن أعض ذراع أحدهم. غير أنهم أقوياء وبلا قلب. استنجد بناجي فأجده مهزومًا ينن من الوجع.. أسأله بصوت متلهف.

- بتوجع؟

يرد بصوت مذبوح:

- موت..

أفضل الموت عن الألم، أفضله وأتمناه. تلمع الشفرة الحادة بين أصابع الحلاق، تسيل منها الدماء وتقطر. إنهم يذبحون الأعضاء! بمسك بتاعي، يقشع جسدي وينتفض، أترقب اللحظة المميّنة، أغمض عينيّ بكل قوتي، يفعلها هو في ثانية، شكة موجعة ونارا مشتعلة، أصرخ كما لم أصرخ من قبل. يعلق الحلاق ببرود، وهو محتفظ بابتناسمته العجيبة.

- حسيت بحاجة؟

وارد في سري: يلعن ديك أمك.

نعود إلى البيت بجروح دامية وجلاليب ملطخة بالدم. نباعد ما  
بين ساقينا ونمشي كالبطاريق.

يستقبلنا أبي، دون أن يرفع عينيه عن لوحته المنشغل بها، يقول  
بتهكم.

- بقيتوا رجالة يا ولاد الكلب.

ليلاً يزداد الوجع، أحس بأن السخونة تحرق بدني، أرفع الجلباب  
وأأمل الجريح. أسأل ناجي:

- بقاعك لسه واجعك؟

يجيب:

- مش أوي.

- إشمعنا أنا.

أرفع الغطاء وأزيحه جانبًا وأقوم، أهز أمي النائمة.

- أنا محسور.. عاوز أطرطر.

تتكلم وعيناها مغلقتان.



- امسك نفسك لغاية الصبح.

في الصباح، أقف في منتصف الحمام وأفك الشاش بالراحة، أجز على أسناني، عضوي منتفخ ولونه أزرق، تنز منه سوائل بيضاء وخضراء. أحاول أن أتبول، يخرج البول كخط نار فأصرخ، ولا أتمالك نفسي فأبكي، أخرج من الحمام، أبي لا يزال عاكفاً على لوحته. يسألني:

- مالك؟

أجيب وأنا أمسح دموعي:

- ما فيش..

أبحث عن أمي فلا أجدها، أعود وأسأله:

- هي فين أمي؟

- بتجيب طفح.

أدخل الغرفة، وأتكوم تحت البطانية. لا يزال الحرقان مستمرا. بعد دقائق، تدخل أمي وتهزني.

- قوم إفطر.

- مش عاوز..

تستغرب.

- مالك؟

- بتاعي واجعني أوي.

تهتف مخضوضة:

- وريني كدا..

أتركها تفتش فيه.. الجرح تقيح بالفعل. يبدو عليها القلق.

- طب قوم لبس هدوم الخروج..

وتخرج. البس الفانلة. غير أنني لا أقدر على لبس البنطلون، مجرد احتكاك القماش به يقتلني.

يأتيني صوتهما من الخارج، أسمع أمي وهي تقول للراوي.

- عادل لازم يروح للدكتور.

وأسمعه يرد:

- مافيش فلوس.

أخرج دون أن البس البنطلون، أراه مستغرقاً في تأمل لوحته.

- الواد هيضيع مننا يا راوي.

- في ستين داهية..

تنفعل.

- هما مش ولادك..

يهز منكبه باستهانة.

- أنا إيش عرفني؟

تكتم غيظها فالجدال معه لا يجوز، هو يكره من يعارضه ويبطش به بلا رحمة.

- أنا هتصرف.

تقولها وتلتفت فتننّبه لوجودي، تسألني لمّ لمّ البس هومي؟ أرفع البنطلون لأعلى.

- مش عارف البسه، بيوجعني.

- طب إدخل البس الجلابية...

وأنا داخل أسمعها ترجوه.

- ما تزعلش مني يا راوي... بس الضنا غالي..

في الصيدلية أرفع طرف الجلاب. يتفحص الصيدلي عضوي، يهز رأسه متضايقًا.

- دا لازم يروح للدكتور.. ومش أي دكتور كمان.. دا لازم جراح.. الجرح بالطريقة دي هيعمل صديد.

تبكي.

- مالك يا ست؟

تقول:

- مافيش..

يتعجب.

- ما تخافيش.. خديها على الدكتور يحيى اللي فى شارع الوحدة..

دا شاطر وسعره حنين.

تجهش بالبكاء.

- فى إيه بس؟

لا مفر.

- مش معايا ولا نكلة.

يتساءل:

- وفين أبوه، ميت؟

- تقدر تعتبره كدا... عايش زي الميت... موجود ومش موجود..

يتأثر الصيدلي، يطلب منها أن تنتظر، يفتح درج المكتب ويلتقط  
20 جنيهاً، يمدها لأمي، فتخطفها غير مصدقة..

- خديهم واطلعي بيه على الدكتور قبل ما يحصل مضاعفات.

تأخذها وتطلع بي على المستشفى المركزي الحكومي، تقطع  
تذكرة بجنيه، وتدخل بي على الدكتور الشاب. تحكي له الحكاية  
فيطلب مني أن أتمدد على الشيزلونج فأفعل، يسألني:

- تأخذ بنج والا هستحمل؟

لا أعرف ما هو البنج، فأقرر بأنني سوف أتحمل.

ينظف الجرح بقطنة مبللة، تشتعل في النيران. يعلق على  
ما يراه.

- منه لله.. دا شوهه خالص.

- يعني إيه يا دكتور؟

يطمننها.

- ما تخافيش..

ثم بيتسم لي.

- لازم بنج يا بطل..

تدخل طبيبة جميلة. تتساءل:

- فيه إيه يا دكتور؟

يدعوها قائلاً:

- بصي كدا يا دكتورة..

تأمله.. اخجل منها، تحركه بأصابعها الرقيقة. تقول:

- مين الحمار اللي عمل كذا؟

تسكت أمي. يقول الدكتور.

- انا هديله بنج كلي وأحاول أعالج الجرح.

تعترض.

- وليه كلي؟ سيبه أنا هتصرف معاه.

يتركه لها ويذهب. يتبخ عليه سائلا فأشعر بالتنميل يسري فيه، ثم أفقده، أفقد إحساسي به، كأنه لا يخصني، كأنه أصبح منفصلاً عني تماماً. تتعامل معه بمهارة، وتربطه بالشاش، ثم تكتب قائمة طويلة بالأدوية وتقدمها لأمي. تُحبط أمي.

- أجيب منين كل دا؟

تأخذ منها الروشتة، تضيف عدة كلمات ثم توقع باسمها وتعيدها لأمي.

- انزلي العيادة وقوليلهم الدكتور ملاك هي اللي بعثاني.

كان لا بد أن أضمن أنها "ملاك"، هكذا تكون الملائكة بلا شك. في طريق العودة تمر أمي على بائع الفراخ، وتشتري منه أرجل

الفراخ، ثم تجلب البصل والطماطم والعيث، وتطبخ لنا الأكلة التي ننتظرها كل حين ومين.

تقول للراوي.

- ياللا الغدا...

يعاين اللوحة التي استغرقت منه أسبوعين متواصلين برضا.

- إيه رأيك؟

تمسكها هي وتقلب فيها، تقول.

- حلوة.. ممكن نستنفع بيها..

وتستخدمها بديلاً للطبليّة، تفرش عليها أوراق الجراندي، وترص فوقها الطعام، ونلتف حولها جميعاً ونأكل. وتبدأ الحياة تدب في السيد "ز".

## (2)

هي واحدة من آل البيت وإن كانت لا تنتسب لأحد من أهله،  
 في عمر خالتي تقريبًا -وخالتي تكبرني بتسعة أعوام- يتيمة الأم،  
 وكانت أمها صديقة ستي، هي تعيش مع أبيها الهرم في عزلة  
 مهلكة... تقول دائمًا لجدتي:

- ربنا عوضنا بكم.. إنتي أمي وسهام أختي..

وبالطبع أنا في منزلة ابن أختها الكبرى، وابن أختها في حاجة  
 لمن يرعاه، من يهتم بشئونه وتربيته ونظافته أيضًا... تنادي عليها  
 جدتي:

- بتعملي إيه عندك؟

تلبى النداء وهي تنشف يدها المبتلة.



- باغسل المواعين..

تطلب منها أن تترك ما بيديها وتأخذني كي أستحم.

أعرف اللعبة وأتلفذ بها. تدعك جسدي بيدها الناعمة، وتعنتي بيتاعي على نحو خاص، تلاعبه وتلاطفه وتمصه. يعرف السيد "ز" المص لأول مرة في عامه السادس. يتفاعل معها وينتصب، تخلع ملابسها.

- أنا هستحي معاك.

أقارن بين جسدها وجسدي، أنا أملس كصحراء يقف في نهايتها نرد وحيد، صغير وحائر وأملس هو الآخر، وهي كارض بكر يعلوها جبلان، أنظر إلى ما بين فخذيهما وأدقق. أتساءل: أين بتاعها؟ وأخمن أنه مختبأ بين الأحراش.

- انت تحميني زي ما انا بحميك..

تقترح. تروق لي الفكرة... أضع يدي على الجبلين وأقبض، أحس بها تتلوى، تقول.

- عاوز ترضع؟

لا أردد، أرضع على الفور، القم الحلمة والعقها، والحسها. تتأوه، أحس بانتي أوجعها، فأتوقف، تنن وترجونني أن أستمر فأستمر، نعض على شفثيها. تعلن أنها ليست قادرة، تمسك السيد "ز" وتحكه

بين فخذها. تستمتع باللعبة وأستمع أنا أيضًا. تهذا وتقبل السيد "ز"  
قبلة أتمناها لي.

### (3)

ترق أمي باب الشقة وتدخل وهي تقول مرحبة:

- تعالي.. خُشي يا حبيبتِي..

يتعلق نظري على الباب في انتظار القادم... طفلة تصفرني بعدة  
أعوام، صغيرة وبانسة وجميلة.

توضح أمي:

- كانت واقفة عند الطعمجي وجعانة.. قلت تفطر معنا.

وقت الفطار لاحظ أنها هادئة وجائعة فعلاً. تأكل بنهم وأمي  
تفالي في ضيافتها.

تسألها:

- إنتي ساكنة فين يا حبيبتى؟

- في الشارع.

في صوتها بحة محببة. بيان التأثير على وجه أمي، تفكر، تقترح:

- إيه رأيك تعيشي معانا؟ أنا ربنا أداني ولدين وكان نفسي في

بت بس ما حصلش نصيب.. إنتي هتبقى بتي.

لا أجد رد فعل على وجهها، فقط تهز رأسها وتستمر في مضغ

الطعام. تسألها أمي:

- اسمك إيه؟

- عزة..

- حلوة.. عزة.. عزة.

وتستشير الراوي:

- إيه رأيك؟

الراوي لا يتدخل فيما يدور أبدًا... لذا كنت أطلق عليه الشجرة.

أما أمي فقد كانت تصفه دائمًا بـ"خيال المائة"، وجوده وسطنا مجرد رمز ليس أكثر.

نتتهي من الطعام فنقوم أمي وتحمل الأطباق. البنت خجولة

ومرتابة، تحاول أن تساعدنا، تحمل طبق، وتسال أمي:

- فين المطبخ؟

تفتح أمي باب الشقة وتجيّب..

- في الحوش.

لم يكن في شقتنا مطبخ، وأمي فكرت ودبرت واستغلّت بئر السلم، وبئر السلم كان وطنًا لمخلوقات عجيبة، شعبة من العفن والديدان والفنرن والحشرات. ولكنها استطاعت في حملة تنظيف شرسة إبادة الشعب المسكين. واشترت "بوتاجاز" بأقساط - مات صاحبها من العلة - وجعلت منه مطبخًا. أما الشقة فهي في الدور الأرضي من بيت جدتي، أوضة وصالة وحمام بلدي لا يتسع غير لقاعدة صغيرة وطشت مياه وحنفية منخفضة. تلك الشقة هي الحلم الوحيد الذي حققته أمي.

في الصالة تقول لها أمي:

- انتي لازم تستحمي.

وكان لعزة رائحة كريهة فعلاً. تتساءل.

- بس أنا ما عنديش غيار ليكي؟

ثم تفكر.

- أنا هتصرف.

وتتصرف أمي، تجلب لها كام غيار من أبلّة عفت، بناتها في مثل عمر عزة تقريبًا.

تستحم عزة وتلبس ملابسًا نظيفة، تغرق أمي شعرها في الجاز وتمشطه، تنقي منه القمل وتنقعه في طبق مياه فيغرق.

أراقبهما وأنا أدعي القراءة، أدعي أنني مشغول عنهما وأنا في الحقيقة لا انشغل بغيرهما، أمي وأختي المستعارة، وأفكر: من أين أنت؟ وماذا واجهت في حياتها السابقة؟

بالليل، ينام أبي على الكنبة، وتنام هي وأمي على السرير الوحيد، بينما ننتشارك أنا وناجي الفرشة. بعد منتصف الليل يوقظني العطش، أشرب وأعود. أمي تشخر، والبنت قد أزاحت الغطاء من عليها، أهدق في فخذيها فينشف ريقِي وأقترب، أجلس على حافة السرير وأتلصص، بوضوح يظهر لي لباسها ذو الأزهار الصغيرة، أتمنى للسيد "ز" أن يلهو قليلا في حديقته، تتحرك، أنتفض، وأنسحب وأندس تحت الغطاء، أنقلب طوال الليل بين الرغبة والإثارة، المقاومة والانهيار.

مع مرور الوقت تأخذ البنت راحتها، تلبس شورت ناجي، وفانلتي الحملات، تساعد أمي في شغل البيت كأي ابنة بارة. وأبد لها أنا، لا أخرج مع ناجي... أنخرط في قراءة وهمية، عين على السطور وأخرى على جسدها. هي على الأرض تنقي الأرز إلى جوار أمي. وأمي تسألها:

- وفين أهلك يا عزة؟

يحمر وجهها ولا ترد.

- إحنا أهلك.

لا ترفع عينها عن طبق الأرز.

- انتي بتعرفي تقري وتكتبي؟

تسالها أمي. تجيب هي بفخر.

- يعرف أكتب اسمي.

تفرح أمي بها.

- شاطرة.. أنا برضه يعرف أكتب اسمي وأقراه كمان.

البنيت تنظر لي من تحت لتحت. تلتقط عيني العالقة فتبتسم.

- كان نفسي أعرف أقرا زيہ..

هي تقصدني بالتأكيد.

- عادل دا اشطر عيالي.

تشيد بي. تضيف.

- وانتي بقيتي أخته.

ثم تنادي علي:

- يا عادل.

اغلق الكتاب، وألبي النداء.

- أبوه يا ماما.

أتصنع الأدب. تقترح.

- إيه رأيك تعلم عزة القرابية؟

يرتجف قلبي/زبي... ما أكبر الشبه بينهما؟

- ماشي.

تتكلم إلى عزة.

- خلاص... هو هيعلمك كل حاجة.

أعد الأدوات وأرصها على الترابيزة: القلم الرصاص، القلم الجاف الأحمر، كراسة، وكتيب لتعليم مبادئ القراءة.

تدخل وتتقدم على استحياء. أدعوها للجلوس فتجلس. أقم لها القلم الرصاص وأفتح لها الكراسة، وأسألها:

- تعرفي أ - ب؟

تفكر، الأخط أنها أجمل مما اعتقدت بكثير... شفتها كحبة فراولة مقسومة، حمراوتان وشهيتان وناضجتان، وأنا مهيا تماما للتروقها.



- نص نص..

اطلب منها أن تكتب ما تحفظه فقط. تكتب بخط سيئ عدة حروف  
وتنسى التنقيط. أمسك بالقلم الأحمر وأضع النقاط على الحروف.  
تسألني:

- أنا شاطرة؟

- لاه..

تحبها الإجابة والنبرة. أضيف بنبرة محفزة.

- بس لو سمعتي كلامي هتكوني شاطرة.

تبتسم. ابتسامتها دعوة مفتوحة للتقبل.

- انت الأستاذ بتاعي وأنا هاسمك كل كلامك.

دعوة أخرى أتقبلها بسرور.

- الغلطة بعقاب.. والصح بمكافأة.

تساءل بفزع:

- هتضربني؟

أنتهز الفرصة.

- لازم... عشان تتعلمي.

تتغير ملامحها، ويعتريها الحزن.

- مالك؟

- مافيش.

أغلق الكتاب وألح في سؤالي، فتجيبُ.

- أنا هربت من أبويا عشان كان بيضربني ويحرقني.

تمد نراعيها فأرى آثارا لحروق قديمة. أشفق عليها. بلا مقدمات تقوم وتستدير، تسحب الشورت إلى أسفل. غير مصدق لما أراه... المؤخرة عارية، مدهشة مؤخرتها.

- وكان بيحرقني هنا.

أدقق، تبدو الحروق صغيرة جدًا. أخمن أنها بفعل السجانر. أتأكد من تخميني حين تصارحني.

- كان بيطفي فيا السجاير.

ترفع الشورت قبل أن ألمس موضع الحروق وتعود لمكانها الأول، أمامي. ألهث، وقد انتصب السيد "ز" بعنف وراح يلح على الخروج والمشاركة كطفل مزعج. تنتبه لي.

- مالك؟

أسكت.

- وشك احمر أوي.

أتهرب منها.

- مش هنبداً الدرس؟

تشرط.

- بس من غير ضرب.

أوافق. أبدأ الدرس دون تركيز يُنكر؛ النار بداخلي متأججة ولا وسيلة لإخمادها. الجنس وحش آخر فكيف أواجهه؟ أتساءل: كم من وحش بداخلي عليّ مقاومته؟

أكتب لها الحروف بخط كبير وواضح وأطلب منها أن تعيد كتابتها. أخرج. الراوي في الصلاة يستعد للوحة جديدة. أدخل الحمام، وأحل أمر السيد "ز"، يبدو كوحش صغير، هانج، وغضب، أصب عليه الماء البارد عله يهدأ ويستكين.

في الصلاة تواجهني أمي بجلابية الخروج، تقول:

- أنا رايحة لستك ومش هغيب.

تخرج، وأدخل أنا الغرفة، أغلق الباب بإحكام وأمضي نحو ثمرتي المحرمة.. تطالعني الثمرة مبتسمة ومتأهبة، ترفع الكراسة وتقول:

- أنا خلصت.. فين المكافأة؟

مرة أخرى تنسى التنقيط، وتعكس الحروف، تقريبًا ولا حرف واحد كتبته بشكل صحيح، ومع ذلك أهتف..

- برافو عليكى... انتى لازم تاخدي مكافأة فعلاً.

تستبشر خيرًا، أهمس.

- أنا عاوز أقول لك على سر.

يتملكها الفضول.

- سر إيه؟

- لازم توعدينى الأول إن ماحنش يعرف أبدًا..

يسحقها الفضول.

- أو عدك.

- أنا عالم... عالم وساحر..

تستغرب.

- إزاي يعنى؟ بتطلع أرنب من البرنيطة؟

أكتم ضحكة في طريقها للفرار. اتقمص الدور.

- لا أنا ساحر حقيقي.. وممكن أعالج الحروق اللي عندك دي

وأخليها تختفى خالص...

تستعجب.

- بجد! إزاي؟

- بعصايتي السحرية..

تحتار.

- وهي فين دي؟

أفتح سوسنة البنطلون وأستخرج السيد "ز" .. يطل عليها بسعادة.  
تهز رأسها وهي تبتسم بخبث.

- انت كمان بتحب قلة الأدب؟

يشلني السؤال. انت كمان: تعني أن هناك من سبقني! لا أعرف  
بماذا أجيب. تجيب هي عني.

- أنا كمان بحب كدا.

ينفجر قلبي من المفاجأة. أتأهب للحظة قد تكون الأمتع في حياتي.  
غير أن دقة على الباب تفسد كل شيء، إنه الراوي.. أدخل السيد  
"ز" إلى بيته، وأفتح الباب وأنا مرتبك.. يطل علينا بنظرة مرتابة  
ثم يسألني..

- قافلين باب الأوضة ليه؟

أشير ناحية الكتاب والكراسة.

- بعلمها القراية والكتابة.

يهز رأسه ويخرج، أنتهد بارتياح. أعود لفتاتي فتبتسم. أقرب منها فتفتح أمي الغرفة، تفتح شنطة بلاستيكية وتقول لعزة..

- شوفي حماتي بعنت لك إيه؟

تخرج من الشنطة تشكيلة من الفساتين الجميلة، تحتضنها عزة وتفرح بها، تطير من السعادة.. تقول أمي..

- أنا حكيت لها عنك، وهي عاوزاكي عندها، تساعديها وتخدمها وهي هتجيب لك كل اللي نفسك فيه.. حاكم حماتي دي طيبة.. هنعيش معاها أجمل أيام عمرك..

وتعيش معها عزة أسوأ أيام حياتها. تحرقها جدتي لأتفه الأسباب، وتحلق لها شعرها الجميل، تعذبها وتحبسها لعدة أيام في البلكونة، في عز برد يناير، تربط عزة الملاءات بسور البلكونة، وتنزل، تنقل وتهرب، وتختفي إلى الأبد. وأغرق أنا في التساؤلات: أين ذهب، وماذا ستواجه في حياتها القادمة؟

#### (4)

أيام الإجازة نحمل التليفزيون الصغير ونصعد به إلى فيلا عثمانة... الفيللا في الأصل حجرة واحدة، تقع في الدور الثاني بين شقتين، شقة إصلاح وشقة عمرو الشبح. كنا في عهدنا الأول نسكن بتلك الغرفة، أنا وناجي والراوي وأمي، أمي شافت فيها الويل. وكانت الحجرة بلا حمام فنضطر إلى التبول والتبرز على خط السكك الحديدية، وكانت أمي تحمنا في الطشت، وتحمله فوق رأسها لتدلقه على السكة وهي ترفع رأسها لأعلي وتدعو: "شفتي عندك يا رب".

وكندا أن نتعفن بتلك الحجرة لولا أنها دبرت قرشين واقنعت جنتي أن تترك لنا شقة الدور الأرضي، فوافقت بعد توسل مهين. واتخذ عثمانة من تلك الحجرة مكانًا لتحقيق أحلامه العجيبة، هو في الأصل طالب جامعي بكلية فنون جميلة غير أن طموحه تجاوز

الفن. وقد حول الحجرة إلى متحف حقيقي، علق لوحه على بابها "فيلا محمود عثمانة" وبلداخل فرش فيلته المزعومة بالموكيت، ورصع الحوائط بأسلحة بيضاء وأخرى مزيفة كان قد اشتراها من سوق الجمعة، ولم ينس أن يثبت ذنبا محنطا على الباب، وصقرا عند النافذة الصغيرة. وكان شديد الاهتمام بالفيلا، بأنافتها ونظافتها، وكان يجبرنا على خلع الأحذية، وغسل القدمين قبل أن يسمح لنا بالدخول، أما الجلوس على السرير الوحيد فهو أمر ممنوع قطعيا... في الحقيقة كانت هناك قائمة طويلة من الممنوعات والمحظورات كأي متحف محترم: ممنوع اللمس، ممنوع الجلوس إلا على الأرض، ممنوع الأكل، ممنوع الكلام بصوت عالٍ.

كنا ننفذ تعليماته حرفيا في مقابل أن يتيح لنا أن نأتي بالتليفزيون ويأتي الشبح بالفديو ونتشارك في تأجير شرائط الفيديو. وكانت الأفلام في معظمها أفلام رعب كما يحب الراوي ويهوى، وأكشن كما يفضل عثمانة، وكوميدية كما أرغب أنا وناجي.

يضع ناجي التليفزيون على الترابيزة بحرص، يوصل الأسلاك ويتأكد من كل وصلة... ويبدأ العرض، نتكوم جميعا أمام الشاشة الصغيرة، في حين ينفرد الراوي بالسرير رغم أنف عثمانة، ونتابع ما يدور بسعادة وشغف.

يدق الباب، يفتح عثمانة، يظهر عبده ابن عمتي، يخلع حذاءه



ويدخل. نفسح له مكاناً، فيجلس ويشاهد بفتور، بعد دقائق يقوم، ويقول:

- أنا هنزل اجيب لكم حاجة أحسن من كدا.

ويخرج... نستكمل نحن الفيلم، يتلذذ الراوي برؤية الموتى الأحياء وهم يتحلقون حول فتاة، ينهشون في لحمها، الفتاة تصرخ وتستغيث، والراوي يضحك، كأنه يشاهد فيلمًا كوميدياً، المشاهد الدموية تسعده وتريح أعصابه وتفتح شهيته للحياة! مرة أخرى يدق الباب ويدخل عبده من جديد، يرفع طرف الفانلة فللمح الشريط الأحمر محشورا بين البطن والحزام، ينتشله ويقول:

- فيلم سكس.

لم يكن أحد منا قد شاهد فيلم بورنو من قبل. حتى الراوي نفسه. كنا نعتبر أفلام نادية الجندي وشمس البارودي أفلاماً إباحية، وكان فيلم "المغتصبون" لـ ليلي علوي هو أكثر الأفلام إثارة بالنسبة لنا. على الفور نستبدل الشريط، لم يعترض أحد، حتى الراوي لم يمانع، نرجع لجلستنا القديمة وننتظر العرض: تنزل التترات على حديقة فيلا، فيلا حقيقية هذه المرة، الوقت ليلا، يتحرك شبح بين الأشجار، يتسلق شجرة، يقفز من عليها بمهارة ويقبض على سور البلكونة، يقف، رجل في بدلة أشبه ببذلة الغطس، طبقة رقيقة سوداء تغطي جسده كله، ووجهه أيضاً، يكسر زجاج البلكونة ويدخل، في

حجرة النوم تتقلب امرأة تجاوزت الثلاثين في قميص نوم قصير "بيبي نول" .. اللص أمام خزانة يحاول فتحها، جرس إنذار يضرب في غرفة المرأة، تنتبه من نومها، تفتح الدرج، تلتقط مسدسا ضخما، وتخرج. اللص لا يزال يحاول ويبدو أنه يواجه أمرا معقدا، تنغزه بفوهة المسدس في ظهره، يرفع ذراعيه، تطلب منه أن يستدير، يلف يبطء وحذر، تتكلم معه -الفيلم غير مترجم- قبل أن نخمن المحادثة تكون هي قد مررت فوهة المسدس على صدره ثم نزلت بها على بطنه ثم وصلت لبناعه! وبتاعه بدا منتفخا وبارزا تحت الملابس الغريبة. تتحبس الأنفاس، وتكاد أعيننا تنخلع من فرط التحديق. تسقط على ركبتيها، تطلع بتاعه! هنا لم نتمالك أنفسنا من الدهشة والسعادة، صيحة جماعية تخرج منا، وشغف لرؤية المزيد. بحركة واحدة تنزع عنها قميص النوم فتصبح عارية تماما، يفور الدم في أدمغتنا، ويقوم ناجي ويقترب من الشاشة حتى يكاد أن يلتصق بها، ويمد أصابعه في محاولة يائسة للمس النهدي النافر غير أن شخطة من الراوي.

- اعد يا ابن القعبة مش عارفين نشوف .

يعود إلى مكانه. ونشوف الفيلم في طقس عائلي لمرة وثانية وثالثة. ويغط الراوي في نوم عميق. ويصنع كل واحد منا قرطانا ويعصر بتاعه، أوجه السيد "ز" ناحية الدعك، وأقول له: شوف يا أعور واتعلم.

كَمَا قَدْ بَلَّغْنَا الْحَلْمَ مِنْ عِدَّةِ أَعْوَامٍ، وَقَدْ احْتَرَفْنَا جَمِيعًا ضَرْبَ  
العشاري حتى أدمناها وتفننا فيها، أما عبده فقد كان أصفرنا، طفلاً  
لا يزال أو هذا هو المفترض. ينتفض عبده مرة واحدة ويصيح:

- هاتولي قرطاس.. أنا، حاسس إنني هبلغ دلوقتني حالاً.

نضحك على عضوه الصغير، بتأعه في حجم عقلة الإصبع أو  
أصفر قليلاً. يشرع في دعه ويرتعش.

- مش قادر.. مش قادر.. حاسس إنني هجيبهم.

نترقب جمعياً الحدث إلا عثمانة، بسرعة البرق يصنع له قرطاساً  
ويده نحو عقلة الإصبع.

- نشن هنا.

وعبده يصرخ ولا يتوقف عن الدعك.

- مش قادر.. مش قادر..

وينشن على القرطاس فيخرج خطأ طويلاً من البول يغرق عثمانة  
والموكيت ويطرطش علينا. نغرق في ضحك جماعي، ويستشيط  
عثمانية غضباً ويثور.

- يا ابن ديك الكلب.. ينعل ميتين أبوك.

وينتبه الراوي من غفلته مذعوراً..

- فيه إيه؟

نسكت، ونكتم الضحكات. يلقي نظرة على الفيلم الدائر.

- اطفوا القرف دا بقي وناموا..

ونغلق الأجهزة، وندعي النوم، وكل واحد مشغول ببتاعه.

## (5)

لم أكن أعرف وقتها أن الأحلام تتحقق أحياناً!  
أبحث عن بنطلوني في كل مكان، أفتش في الدولاب وبين هدم ناجي  
وتحت السرير والكنبة ولا أجد له أثراً، أسأل عنه أمي فتجيب:  
- عند فرح، اطلع هاته وهات بقيت الغسيل.

كانت أمي تنشر الغسيل في الحوش، وكان سكان البيت يتضايقون  
من غسيلنا المنشور، ومن المياه التي تفرق عند المدخل وتلبخ  
الدنيا، وكانوا يكتمون شكواهم خوفاً من بطش جدتي وعمتي. أما  
أمي فالغسيل هو أيتها المفضلة... تصحي من النجمة، وتلم هدم  
البيت كله، وتولع البابور، وتشفل الغسالة المزعجة، وتظل طوال  
اليوم ما بين دحك ونقع وعصر ثم تنشره في مدخل البيت. غير  
أن لصاً بانسأ ذات مرة قطع الحبال وسرق الهدوم. يومها بكت

أمي وناحت، وأظهر سكان البيت تعاطفا ظاهريا وشماتة باطنية،  
وعرضت عليها فرح:

- ابقي اطلعي أنشري عندي يا أم عادل..

وأم عادل انتهزت الفرصة ووافقت على الفور.

فرح جارة جديدة، جاءت من الصعيد مع زوجها الشاب، ودخلت  
في شقة الدور العلوي. في الليل كان يصلني أصواتهما: ضحكات،  
لعب، دببب أقدام تركض، ثم أهات وعبارات غزل صعيدية. وكنت  
أتخيل ما يحدث بالأعلى، وأتمنى لو كنت مكان زوجها، وأستخرج  
السيد "ز" وأشاركه الحدث، أنهار على وقع الأهات والتأوهات حتى  
أفنف غير أنني لا أرتاح. وحين أراها مصادفة في الصباح أجدها  
محتشمة وجادة ومحترمة كما تصفها أمي. ولكن العريس الشاب  
سافر إلى ليبيا بحثاً عن لقمة العيش، وترك عروسه وحدها.

أقف أمام شقتها وأدق على الباب، لا رد! أفكر أنه لا أحد بالداخل  
وقبل أن أهتم بالنزول يستوقفني صوتها..

- مين؟

- أنا عادل يا طنط..

تفتح الباب، تواربه وتطل من خلفه، شعرها مبتل، وعيناها  
مدهشتان.

- عاوز إيه؟

- امي بعثاني أخذ الغسيل..

تفتح الباب أكثر، وتفسح لي مجالاً للعبور.

- ادخل..

فادخل دون تردد. أشوفها بجلاية البيت الخفيفة فأخمن أنها كانت تستحم منذ دقائق ولم تتمكن من ارتداء ملابس داخلية. يبدو جسدها مكشوفاً ومكتملاً وناضجاً وشهياً. ينشف ريقى ويتحرك السيد "ز". تقول:

- إقعد هنا عقبال ما ألم الغسيل؟

تلف رأسها بطرحة وتتجه إلى البلكونة، أتأمل المؤخرة الطرية ترتج فيدق قلبي بعنف. تغيب وتعود بالهدوم، أقوم وأفرد ذراعي.

- عنك.

وأتمد أن المس نهديها وأنا أحتضن الملابس. تنتفض، وتزغر لي بعينها. أحس أنني أوقعت نفسي في مازق. تهذا، تسألني:

- انت بتعرف تكتب يا عادل؟

بسرعة أرد.

- طبعا!

- طب ممكن أطلب منك خدمة؟

- طبعا.

تأخذ مني الهدوم وترمي بها على الكنبه، تدخل غرفة النوم وتخرج بقلم وكراسة، تقول:

- أنا عاوزه أكتب جواب لـ "طه".

أتناول منها القلم والكراسة، أعود إلى مكاني. تنزع الحجاب وتجلس إلى جوارى، تقول.

- اكتب..

أفتح الكراسه وأتهيا للقادم.

- حبيبي طه، تحية طيبة وبعد... مش عارفة أقول لك إيه؟

يختلط عليّ الأمر... لا أعرف إذا كانت تسألني أم أن هذا ما تريد كتابته. تلاحظ.

- مالك وقفت ليه؟

أتلخبط. تستكمل:

- وحشني يا طه.. كل حنة فيك وحشتني، هدومك مش هابين عليا

أغسلها، ريحتك مونساني، بس الريحه طارت..



وتسكت، تسرح بخيالها، ألمح دمعة تحاول الفرار من عينها  
اليسرى. أسألها:

- مالك؟

أشعر بالغضة في حلقها. ترد بصوت منهج:

- مش عاوزه أوجعه في الغربية.

تسيل الدموع. بلا وعي مني أجد نفسي أمسح دموعها. تنهار  
فجأة في البكاء، أحتضنها وأطبطب عليها، يفوح من رأسها رائحة  
الليمون، الليمون والياسمين، أستنشقها، تتخللني، وتسري بداخلي.  
السيد "ز" يعاقر بداخل بنطلوني، يحاول جاهداً أن يخرج، وأن  
يشارك. أرفع رأسها نحوي وأأمل الوجه الجميل، الجميل والحزين،  
أدقق في شفتيها، نار تحرق بدني وتدفعني للمزيد، وتبدو لي المخاطر  
جميعها هينة، هينة وبسيطة، هينة وبسيطة وتافهة. أقرب فمي من  
فمها، وأقول:

- ما تزعليش بكره يرجع.

. تطبق على شفتي، تلتهمهما، وتدخل لسانها في فمي. يكاد أن  
ينفجر قلبي، يدي اليمنى تقبض على صدرها واليسرى تبحث عن  
غايته/غايته. هي أيضاً تقع بين نارين، جزء منها يحاول  
التخلص وآخر يدفعها إلى الاستسلام. تنهج.

- انت هتعمل إيه؟ مش هينفع.

ارفع جلبابها فأتأكد من تخميني، ليس هناك ملابس تحتية، لا يوجد موانع أو عقبات، تلتف الساق بالساق، أزيحها وأصل إليه، أفركه بأصابعي. تتلوى هي وتنن وتعض شفثيها.

- مش قادرة.. مش قادرة.. خلاص..

تدفعني عنها وتقوم، مضطربة بلا شك، هانجة بالطبع، تنفخ، خيط من اللهب يخرج من جسدها المشتعل. أفتح السوستة وأحل أسر السيد "ز".. تهتف وهي تتأمله.

- الله يخرب بيتك... انت عاوز مني إيه؟

لا أرد فقط ألوح لها بيتاعي، تخلع جلبابها. يكتمل جمال المرأة ويتوهج حين تكون عارية، عارية وشبقة ومحرومة. تنزل على ركبتيها وتمسك بالسيد "ز"، تقبله.

- دا أطول منك!

لا أعرف إذا كان تعليقها مدحا أم ذما! لست مهتماً، أترك لها السيد "ز" تلغقه، وتمضه، تتعامل معه برغبة محمومة فيقطر سائله في فمها. قبل أن أعتذر لها عن وقاحة السيد "ز" تكون هي قد لعقت منه بحب وشوق، أندھش. نتساءل:

- انت نمت مع واحدة قبل كذا؟

فلا أقول لها إنني نمت مع كل نساء الأرض، ولكن في خيالي.  
اكتفي بالصمت. تفهم.

- طب قوم شطفه وتعالى.

اقوم وأشطفه وأعود فلا أجدها، أجول ببصري باحثاً عنها فيأتيني  
صوتها من غرفة النوم.

- انت فين؟ تعالى.

في الغرفة أراها ممددة وعارية، تفسح لي مكاناً إلى جوارها.

- إقلع هدومك وتعالى نام جنبي.

في لمح البصر أخلع كامل ملابسي وأنس جنبيها. تبوس عنقي  
وصدري وبطني، تشم رائحة عانتي، وتداعب السيد "ز" بلسانها  
ثم تهمس له.

- أنا عاوزاك تقطعني.

السيد "ز" ينتصب بعنف كجندي متأهب للمعركة. تعتليني، تقبض  
عليه بأناملها وتدخله فيها. السيد "ز" في موطنه الأصلي وهو في  
السادسة عشر لا يزال. تنزل عليه بالراحة، تتأوه.

- آهي.. آهي.. دا كبير أوي!

تنزل وتطلع وأنا تحتها، أصابعي تداعب حلمتيها، وحلمتها

تشبهان حبة التوت، أما نهذاها فهما كالشمام الإسمعلاوي. تميل  
بجسدها نحوي، تهمس.

- اوي يا طه، اوي.

طه! طه.. ليس لديّ مانع في أن أكون "جن أزرق" من أجل  
التجربة، التجربة والمتعة المدهشة.

- جامد يا طه... جامد.

أحرك جذعي تحتها، أدخله كله دفعة واحدة، فتشهب وكان روحها  
قد انسحبت منها، أتحرك بسرعة أكبر وعنف، تصرخ، وتصفع  
وجهها، تخنث صدري. تبلغ الشهوة ذروتها، أقوم وألقي بها من  
عليّ، تفتح رجليها على آخرهما. أبصق في كف يدي، وأفرك السيد  
"ز". تقول بلهفة..

- أنا غرقانة.. دخله بقي.

أطعنها به، وأحلق، وتطلق معي، وأتيقن أن الأحلام قد تتحقق  
أحياناً.

**أمير ولي أتباعي**

## (1)

تمسح أمي على شعري.

- أنت شكلك محسود يا واد.

يصدح صوت الأذان... تضيف:

- قوم صلي.. صلي في الجامع.

رواد الجامع هم أنفسهم رواد مقهى نعااعة... البعض يركع،  
والبعض يسجد، والبعض يقرأ القرآن، والبعض الآخر ينكر الله.  
وأنا أصلي ركعتين، وأطيل السجود فأتلقي جرعة إيمانية تتدفق في  
جسدي، وأشعر بأنني أسمو على كل شيء، وأن السماء أقرب لي  
من الأرض.

أنتهي من صلاتي وأقوم، أقف أمام المكتبة والتقط مصحفاً كبيراً،

ألثقت فيداهمني الشيخ رضا، عملاق يحجب عني رؤية العالم.  
يزغر لي.

- حط المُصحف مكانه..

- بس أنة عاوز أقرأ.

أقولها بصوت متهدج، متهدج وخائف. يتجهم.

- دا مش للعيال.

أترك المُصحف وأنزوي في ركن بعيد، وحين يؤذن للإقامة  
أغادر مسجد الشيخ رضا.

أدخل المسجد الصغير القابع بالشارع الخلفي، أجدهم في الركعة  
الثانية فالحق بهم، أصلي باطمئنان، ينتهون هم من صلاتهم ولا  
أنتهي، أعوض ما فاتني وأبقى في مكاني. من حولي تعم الحركة  
كما تفوح الرائحة. التسبيح على أصابع يدي بينما بصري يستطلع  
ما يدور، أنظر إلى الصواني المغطاة والتي تفترش الأرض وأخمن  
ما فيها، تصلني رائحة المرق واللحم والصلصة فتداعب معني  
ويسيل لعابي. يصيح رجل:

- ياللا يا إخوانا... عقيقة أخوكم أمير ربنا رزقه بولد.

الرائحة تتجللني ومع ذلك أتصنع التجاهل وعدم الجوع. يقول  
الكهل الجالس على يميني.

- خد بايدي يا بني.

أقوم، وأمد له ذراعي فيقبض على كفي ويتحامل حتى النهوض،  
يسند على كتفي ويمشي ببطء. كل مجموعة كونت حلقة تتوسطها  
صينية، يقول الكهل للحلقة الأقرب:

- افسحوا يا إخوانا..

يزحزون مؤخرتهم ويفسحون لنا مكاناً، ويدعوه أحدهم.

- اتفضل يا راجل يا بركة.

ويقعد، وأقعد أيضاً. أكوام من اللحم أمامي، أمد يدي وألتقط  
قطعة، ينبهني الكهل:

- دي سمينة.. خد دي..

ويدس في فمي قطعة حمراء، تذوب في جوفي. أحاول أن أفكر  
في آخر مرة تناولت فيها اللحم فأعجز. ربما تكون هذه المرة هي  
الأولى!

يقول لي الكهل:

- كل.

ويقول لي الشيخ:

- كل.



وأنا أكل وأكل وأكل حتى أضن أنني لن أجوع أبداً. واعدود إلى البيت فتستقبلني أُمي مستبشرة.

- وشك نور.. تعالي اتغدى.

- أنا كلت.

- كلت فين؟! دا أنا عامله فول نابت يستاهل بوءك.

أجلس على الكنبه وأراقبهم وهم ينهالون على أطباق الفول.

يسألني ناجي:

- وكلت إيه في الجامع؟

بأظفاري أستخرج نسله لحم محشورة بين الضرس والناناب.

- لحمه.

يهتف.

- يا ابن المحظوظة!

ويكتم شجرة تحاول الفرار. تزغر له أُمي.

- شوفت يا خايب، مش كنت روحت معاه؟! أهو ربنا رضاه..

ما حدش يقصد بيت ربنا غير لما يرضيه.

وقت المغرب يذهب ناجي معي، يتوضأ بلا عناية، ولا يكف

عن سؤالي.

- فين الأكل يا عم؟! -

وأنا لا أرد بغير كلمة واحدة، ثابتة ولا تتغير.

- اصبر.

ويصبر، ونصلي المغرب ولا نبرح مكاننا. يصعد الخطيب على المنبر، ويلقي بالسلام، ثم يقول:

- درس اليوم عن الأنبياء..

ويحكي عن ابتلاءات عظيمة، وحكايات عجيبة في زمان بعيد، أبطالها من الجن والملائكة والشياطين، ونحن لا نفكر غير في الأكل والواقع وما سيكون.

## (2)

أداوم على الصلاة في أوقاتها دون جدوى.

عند باب المسجد أبحث عن الشبشب فلا أجده، أفتش في كل مكان، وأخجل أن أسأل أحدا عنه... الشبشب قديم ومهترئ ولا يساوي جنيتها. غير أنه كل ما أملك! أبكي فيسألني شاب ملتج:

- مالك؟

- الشبشب ضاع مني.

ويبحثُ معي ويسأل بلا نتيجة فيحضر قبقابا من الميضة ويقول لي:

- روح بيه.

أمشي بالقبقاب الثقيل، نعله الخشبي يدق على الأرض فيصدر صوتًا يلفت الأنظار، وحزامه القماش يمزق قدمي.

تقول أمي مُحبطة:

- يا وكستك... ضيعت الشبشب؟

ويعلق الراوي.

- خليه يمشي حافي عشان ينرف قيمة الحاجة.

وأتحبس في الشقة لعدة أيام حتى أكاد أن أموت من الزهق. أنتهز أن ناجي نانم فأختلس شبشبه وأخرج. أذهب إلى المسجد وفي نيّتي أن أحافظ على الشبشب كعيني بالتّمام. حين أدخل المسجد يقابلني الشاب الملتحي ويسألني عن سبب انقطاعي عن الصلاة. فأصارحه بالحقيقة، وأحكي له الحكاية كاملة. يتأثر. وبعد الصلاة يأخذني إلى محل باتا، يترك لي حرية اختيار شبشب جديد، وكوتشي أيضًا. تعجز اللغة عن وصف فرحتي. عند الكاشير يحاسب هو في حين أفأنا عند البائع وأتابعه وهو يضع المشتريات في كيس كبير، يسألني: انت أخو خالد؟

لم أكن أعرف أن الشاب الملتحي اسمه "خالد". أقول له:

- لاه.

وأسمعه وهو يهمس لزميله:

- سبحان مقلب القلوب، أهو خالد دا كان بلطجي ومدمن مخدرات

بس ربك لما يريد بقي!

أندھش: هل هذا الورع التقى كان من الأشقياء يومًا؟

في طريق العودة يشير ناحية مسجد صغير ويقول:

- ابقى تعالى صلي هنا بعد كذا.

أمنحه ابتسامه عريضة.

في البيت، تمسك أمي الشبشب بيد وباليد الأخرى الكوتشي وترقص وتهلل:

- دا كرم ربنا.

يغتاظ ناجي:

- من هنا ورايح رجلي على رجلك.

ويتدخل الراوي:

- كفاية الشبشب.. روعي رجعي الجزمة إحنا أولى بتمناها.

وتستغرب هي:

- دا رزق من عند ربنا.. حد يقول لربنا لأه؟

بالليل احتضن الكوتشي الجديد وأفكر فيما جنيته حتى الآن...  
طعاما وكساء، وماذا بعد؟

### (3)

هذه ليلة استثنائية بلا ريب... ساعة المسجد تدق العاشرة ليلاً، والمكان لا يزال يكتظ بالإخوة، أعرف القليل منهم، وباب المسجد مغلق علينا من الداخل. وأنصرف عن الجميع منشغلاً بالشيخ الأكبر، وأتمنى أن أراه بوضوح غير أن العتمة البتي تحيطه تحجب رؤيته، والاقتراب محرم علينا، لا أحد يتعامل معه غير الأمير جابر، والأمير جابر هو أمير الجماعة الإسلامية بإمبابة كلها، مشهور بقوته وشجاعته وشموخه غير أنه ينحني أمام الشيخ الأكبر بإجلال ويهمس، والشيخ الأكبر يهز رأسه بإنصات ثم يشير بإصبعه. ينسحب الشيخ جابر مع إشارة الشيخ الأكبر وهو لا يزال منحنياً. يأمرنا أن نجلس جميعاً على الأرض فننقل، عيوننا معلقة على المنبر نتابع أحد الإخوة وهو يحمل جهاز التلفزيون ويثبته في المكان المخصص

للخطيب ثم يتناول جهاز الفيديو من أخ آخر. أجدني شغوفًا ومتلهفًا لما سيحدث. هل سيرضون فيلماً لـ جاكى شان؟ أطرده الأمنية من رأسي وأجدها مستحيلة بالطبع. ينزل الأخ من على المنبر، ويبدأ التشغيل: في الشاشة مجموعة من المجاهدين في صحراء مجهولة، يزحفون على بطونهم، ويتقافزون من فوق النيران. يطل علينا شيخ بلحية بيضاء، يعرف نفسه باسم أيمن الظواهري، وأنه من مصر، وأنه سافر إلى أفغانستان ليلتحق بالإخوة هناك، ويدعو جميع الإخوة بكل أنحاء العالم أن يثبتوا فالنصر لنا. لقطة أخرى تذهب بنا لـ بورما، جبال من الجثث المتفحمة يحط عليها أسراب الذباب، أسمع أصوات الذباب تطن في أذني، وتجتاحني رغبة قوية في التقيؤ، ويقول المعلق إنها جثث للمسلمين، وإن معظم هذه الجثث من النساء والأطفال، وأن المسلمين في بورما يتم إبادةهم. يضربني خوف وإحساس بقهر. يتبدل المشهد فإذا هي فلسطين، أطفال في مثل عمري تقريباً وربما أكبر بقليل يواجهون جيش المحتل بالحجارة، أحدهم يقذف بحجر على دبابة وهو يهتف: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾<sup>(\*)</sup>. حين يصطدم الحجر الصغير بالدبابة تنفجر! تنفجر وتتحول إلى أشلاء وحطام. ترجني اللقطة، ويلتصق المشهد بمخيلتي فلا يفلتني. يتأثر الأخ الجالس إلى جوارى، تنزل منه دمعة وأخرى، يردد بصوت مخنوق: يا الله... إما النصر أو الشهادة.

(\*) سورة الأنفال، الآية: 17.

استرجع الرؤيا القديمة، وأتساءل: هل الليلة ستتحقق؟

ويحمل الشيخ جابر إجابة لسؤالي، ينادي عليّ، ثم يفتح شنطة  
سوداء ويخرج منها مصحفًا وخنجرًا وشالًا منقوشًا عليه علم فلسطين  
يضعه على كتفي، ويحملني ويمشي بي حتى المنبر، يضعني فوق  
المنبر. تهتز الجدران من أثر صوتهم القوي، القوي والحازم..

- أطفال خلف الحدود..

وحجارتهم كالرعود..

مفعم بالحدث، تغمرني الحماسة فأثبت كما يليق برمز.

- الانتفاضة مستمرة..

حتى تعود الأرض حرة..

الخنجر ثقيل والمصحف أثقل. تدق الثانية بعد منتصف الليل.

بعضني الأمير جابر ويمشي بي ناحية الشيخ الأكبر.. يوصيني.

- ما تردش غير بكلمة واحدة وإياك إنك تسأل.

أشير برأسي بما يعني حاضر. أقف بين يد الشيخ الأكبر. أعيش

الرؤيا بواقعها العجيب، يقول لي:

- اقترِب.

أتقدم خطوة.



- اسمك إيه؟

- عادل الراوي.

- عندك كام سنة؟

- عشرة.

- عندك إخوات؟

- أه.. ناجي أخويا القوام..

- عظيم جدًا... تحب تكون مُجاهد يا عادل؟

يخبطني العرض والسؤال. أتأمل وجهه، ألاحظ البياض الذي يكسو عينيه... إنه أعمى.. تربكني الملاحظة.

- أه.

- قرب.

أقترب خطوة أخرى. يمسح بكفه على وجهي.

- أنت أبوك شغال إيه؟

- مش بيشتغل.. بيرسم.

يشمنز كان حشرة سقطت في فمه. أنتظر المزيد ولكنه يشير لي أن أنصرف. أود أن أسأله: وماذا عن الجهاد؟ غير أنني لا أفعل، فقط أنصرف وأنا عازم على تحقيق ما أريد.

#### (4)

أنا اليوم أمير ولي أتباعي.

أقول لهم:

- الجهاد، لا سبيل للتخلص من الشر المتمثل في الآخر سوى بالجهاد.

وأقول أيضًا:

- نحن منتصرون في كل الأحوال فإذا متنا دخلنا الجنة، وإذا انتصرنا فسوف ننعم بالدنيا أيضًا.

لا أحد يفهم ما أقوله... بلص، بولة، والشبح. يتكلم ناجي:

- يبقى نبدأ بالجهاد.

يقترح ناجي اقتراحاً مدهشاً، يثير حماسنا فنخطط لأول عملية في سبيل الله... في الشارع العمومي سوبر ماركت لرجل مسيحي، قصير وأبيض وبعيون ملونة ويشبه الفرنجة فهو واحد منهم بلا شك، ووجب الجهاد عليه... يبحث كل منا عن كيس بلاستيكي، نجربه، ننفخه ونطمئن أنه ليس مثقوباً، وكل واحد يطلع بتاعه ثم نتبول داخل الأكياس، نربطها جيداً وننطلق للجهاد. نرمي بالأكياس داخل المحل، ويحقق ناجي هدفه في إصابة الكيس بوجه الفتاة التي تعمل في السوبر ماركت، ونضحك ونسعد بانتصارنا الأول، وأقول لهم:

- يجب أن نجدد النية بأن ما نفعله في سبيل الله..

وبالليل ندهن باب المحل بالبويه ونكتب عليه: اخرجوا من بلادنا أو اتبعوا ديننا! ونحشو الأقفال الضخمة بالغراء، وفي الصباح نتلصص من بعيد على صاحب المحل وهو غارق في الحيرة والهم. ويسألني ناجي:

- وبعدين يا سمو الأمير.

وسمو الأمير لم يخطط لأبعد من ذلك.

- إحنا عاوزين نعمل عملية تدخلنا الجنة حذف.

وبجراة مدهشة يسرق الجاز من أمي، ويصبه في زجاجة  
كوكاكولا، ويحشر في عنقها قماشة، يقول.

- دي قنبلة.

التقط ما يعزم عليه.

- انت عاوز تفجر السوبر ماركت؟

يرفع سلاحه.

- وأطربقه على دماغ أمه... المهم أدخل الجنة .

- بس أنت كدا هتدخل السجن.

يداري سلاحه. ويسحب شخرة متوترة.

- طب بص، أنا عارف بيت قسيس، هو بيركن عربيته تحت

البيت إيه رأيك نولعها؟

ناجي لا يرضى سوى بالقمة، وأنا مثله.

- توكلنا على الله.

أقف على ناصية الشارع، المفروض أنني أراقب الحركة  
لناجي، بدلاً من ذلك أراقبه هو، أراه وهو يفتح سوستة البنطلون،  
ويخرج بوز الزجاجاة، ويفرغها على إطار السيارة الخلفي، لاحظ  
أن السيارة فيات خضراء. يشعل عود ثقاب، يتوهج للحظة ثم

ينطفئ، فيشعل آخر ويلقي به على الإطار فينطفئ أيضًا. يحدث عن شئ ما في الأرض، يلتقط صحيفة ويشعلها، يقربها من الجاز فلا تتفاعل معه. ألمح شخصين قادمين من بعيد، أشير له أن يخلع، وأخلع أنا أيضًا.

يعلق بحيرة:

- العربية مش عاوزه تولع؟ تقولش قاري عليها قرآن!

\*\*\*

من سيد الأعرج اشتري نبلة خرطوم، وانتقي من الأرض زلطة صغيرة ومدببة. أقف على بُعد عدة أمتار من محل السوبر ماركت متخذًا من سيارة مركونة سائرًا، وأصوب، أهمس بخشوع:

- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

واسحب الخرطوم بكل قوتي ثم أفلته، تنطلق الزلطة كرصاصة تعرف طريقها جيدًا... يخيل لي أن السوبر ماركت والعمارة نفسها انهارا من قذيفتي المباركة.

أفر على بيت جدتي، وأقول لنفسي: استخبي عندها مدة أسبوع. حين أصل تحت بيتها، أحس بأنني ابتعدت عن الخطر بشكل كاف، أتنفس بعمق، أنهج وأبتسم، أقول: هبقي أروح بكره.

ولكني لا أستطيع أن أنتظر لـ بكره. أعود إلى موقع الحدث، وأتابع من بعيد ما يدور. أمام المحل ناس محتشدة يحجبون عني الرؤية.

أذهب إلى البيت. الراوي منشغل بلوحة جديدة: مخلوق هلامي بقرنين وذيل مدبب. حين يكون راضٍ عن إبداعه يصبح مزاجه عال العال. يشير ناحية اللوحة ويسألني:

- إيه رأيك؟

فلا أقول له إن الرسم حرام، وأنه سوف يتعذب بسبب فعلته تلك، وأن الملائكة لن تدخل بيتا به صورة، فما بالك بلوحة لإبليس. غير أنني لا أملك الجرأة الكافية لمواجهته.

- حلوة.

أكتفي بهذا التعليق، وأدخل الغرفة. ناجي نائم على السرير، أهزه.

- ناجي.. ناجي.. أنا كسرت محل الرجل المسيحي.

ينتبه من نومه مذهولاً.

- يا رجل!

- آه والله العظيم.

يقوم، ويدعك عينيه.

- طب تعالى نشوف.

أتخلى عن حرصى وأمشى معه. نمر بمحاذاة المحل فالمح صاحب بطرف عيني وهو يلم الزجاج المهشم من على الأرض وقد استبدله بلوح زجاجي جديد. أغمز لناجي فيبتسم. يعلق.

- اعتقد إننا كدا ضمنا الجنة...

قبل أن أجيبه ينزل كفه على قفايا يدفعني إلى الأمام. يجري ناجي، وأسقط أنا في يد صاحب المحل الغاضب، يقبض على عنقي ويجرني إلى داخل المحل. في المحل ينتظرنا آخر، غاضبا مثله، وربما أكثر... يهتف.

- قفسته؟

يلوي ذراعي، فاتوجع.

- اسمك إيه؟

- عبد الله.

يسأل الآخر.

- ساكن فين يا عبد الله؟

- في أرض الله.

تستفزهما الإجابة، يلکمني صاحب المحل في رأسي لكمة قوية...

أتذكر ما كان يحكيه الإخوة عن التعذيب في المعتقلات، وكيف كانوا يتحملون الأذى بقوة.

- مين اللي مسلكك علي؟

لا أرد. يتدخل الآخر.

- إحنا نسلمه للنقطة وهناك يتصرفوا معاه.

ويلع صاحب المحل.

- مش قبل ما أعرف... مين مسلطه على أمي؟

وقبل أن يعرف من الذي سلطني على أمه تكون أمي أنا قد دخلت المحل.

- فيه إيه؟

يسألها صاحب المحل.

- انتي أمه؟

- أيوه.. ماله؟

- ابنك متسلط عليا... مرة الأقفال ومرة يرمي علينا ششاخ،  
والنهارده دا كسر لوح أزاز ب 180 جنيها.

تستغرب، تسألني.



- ليه كدا؟

أود أن أقول لها: هذا واجب على كل مسلم. غير أنني أسكت.  
تتوسل له.

- ماعلش.. عقل عيال.. زي ابنك برضه.

ويقول الآخر:

- يعني يرضيكي كدا يا أم عبد الله.

تتعجب، تستفهم.

- عبد الله مين يا أخويا؟

يشير صاحب المحل نحوي.

- هو مش اسمه عبد الله؟

توضح.

- لأه.. دا عادل... عادل الراوي.

ينظر في عيني بغیظ.

- أو مال بتقولنا اسمك عبد الله ليه؟

أرد بيقين وتحد:

- كلنا عباد الله.

## (5)

بعد صلاة العصر يأتي مرسال إلى الشيخ خالد فيأمر جميع الإخوة بإحضار السلاح اللازم والتوجه فوراً لمسجد الرحمة بالبصراوي، وأجري أنا على البيت، أحضر النبله وألم الزلط وأبحث عن أتباعي فلا أجد منهم أحداً، أنطلق على البصراوي وأجد النية، وأتمنى على الله أن أكون من الشهداء. هناك أجد عدداً كبيراً من الإخوة في الحارة الضيقة، أشق الزحام وأدخل إلى المسجد المكتظ بالإخوة. يتوافد إخوة جدد فلا أجد لي موضع قدم. ويدخل علينا الأمير جابر شاهراً سيفه، يصعد المنبر ويلوح بسيفه، يصرخ في الميكرفون.

- من اليوم لا وجود لمشارك بيننا.. من اليوم ستكون إمبابة إمارة إسلامية تقام فيها حدود الله وشرعه...

يهتف الجميع، بالداخل والخارج.

- إسلامية.. إسلامية..

يهزني الهتاف ويثير حماستي فأهتف معهم، أرى بوضوح ما  
نُقِشَ على سيف الأمير ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ  
بِاللهِ﴾ (٥٠)، أحلم بالسيف وأتمناه. يشير لهم أن يهدأوا فيلبوا أمره، يستعيد  
نبرته الهادئة.

- لا إله إلا الله.

- الله أكبر.. الله أكبر.

نخرج من المسجد، نفث أمام دكاكين النصارى، نكسر الأقفال.  
ترتجف الطيور في أقصائها وتستغيث، يحرقونها، ويقاطعهم  
الشيخ.

- البيت دا كله نصارى.

يجتاحهم هياج شديد، يتكدسون عند منخل البيت، يفتحمون المكان  
وسط صراخ النساء وبكاء الأطفال، يلقون بالأثاث من البلكنات  
كلما تهشمت قطعة أثاث صاحوا:

- الله أكبر.. الله أكبر..

يقودهم الأمير جابر، يستعرض قوة جيشه، تطل الرؤوس من  
النوافذ تستطلع الحدث الرهيب، يسير في المقدمة وخلفه جيش من

(٥٠) سورة البقرة، الآية: 193.

الجماعة، يدخل بهم من شارع، ويخرج من آخر، يسود الرعب والفرع في قلوب العامة، يصل بجيشه إلى شارع الوحدة، يدخل به شارع الجهاد، في نهاية الشارع كنيسة عملاقة، يدهمونها ويحرقونها، ويتسلق الأمير جابر سطح الكنيسة ويحطم الصليب العملاق بسيفه ثم يخلع جلبابه فيبان لنا عاري الصدر. يصرخ:

- إسلامية.. إسلامية..

رؤوسنا لأعلى وعيوننا على القائد المهيب.

في البيت أحكي لناجي ما جري فيتحسر لأنه لم يشارك، أواسيه:  
- الجايات أكثر من الراحات.

في ظهيرة اليوم التالي أجد المسجد مغلقاً بالشمع الأحمر. استفسر من الميكانيكي المجاور للجامع فيخبرني أن قوات أمن الدولة داهمت المكان ليلاً وأغلقت بالشمع كما أرى. وتتناقل الأخبار في المنطقة بالتواتر. ويقول أحدهم:

- قبضوا عليهم كلهم.

ويقول آخر:

- مافيش حد يقدر يتحدى الحكومة ويسلم.

وأفكر أنا في قائدنا: بالتأكيد هو يخطط الآن لمعركة جديدة يسترد بها عرشه.

بالليل، يطل علينا القائد منهزمًا ومضروبًا ومنكسرًا عبر شاشة التلفزيون، يبكي أمام المذبة ويخفي وجهه كأي مجرم تافه، ويعلن توبته أمام الجماهير.

ويخرج الإخوة من المعتقلات واحدًا تلو الآخر، يتجه البعض لمساجد أنصار السنة المحمدية، ويعود البعض إلى عهده السابق. وأسأل أنا عن الشيخ خالد وعن مصيره، وتمر الأيام والليالي، ويصادفني مرة ليلاً عند السكة الحديد وقد حلق لحيته وتخلّى عن جلبابه، حين يراني مَقدمًا عليه، يدارى سيجارة البانجو ويشيح بوجهه بعيدًا، بعيدًا جدًا.

# العشيرة

## (1)

لكل واحد منا أميرة، وشيماء أميرتي... شغوف بها طوال اليوم الدراسي، ليست الأجمل ولكن شعورا مبهما خطفني تجاهها. ولا أعرف كيف ألفت نظرها؟ فالأميرات ينجذبن إلى الأوسم، الأطول، الأسطر. وأنا نقيض كل ما فات.

ويطلب منا الأستاذ حمدي أن نحفظ مقطعا من كتاب القراءة، فغدا الإملاء. في البيت، بدلا من أن أنشغل بالحفظ أفكر في طريقة تضمن لي التفوق الأكيد. أفتح الكشكول وأكتب المقطع المطلوب حفظه على جلدة الكشكول من الداخل بقلم رصاص خفيف.. وفي الحصة، ادعى أنني أداري ما أكتبه بجلدة الكشكول عن زميلي، غير أنني في الحقيقة أنقل المقطع قبل حتى أن ينتهي منه الأستاذ حمدي، ولمزيد من الحرص، ولمزيد من الدهاء، أتعمد أن أخطف في ثلاث

كلمات، ينشغل الأستاذ بتجميع الكراريس فأسمح المكتوب بالقلم الرصاص وأنا موقن من النتيجة مُسبقاً، وتأتي النتيجة 10/7.. في المرة الثانية أخطئ في كلمتين، في الثالثة أخطئ في كلمة، في الرابعة أحصل على عشرة من عشرة، وأتحول بقدرة قادر من تلميذ خائب إلى طالب مجتهد، وينسب الأستاذ حمدي لنفسه فضلاً كبيراً ويتباهى بي أمام العيال والمدرسين أيضاً، وأفرح أنا بنجاحي الزائف وأعتز به، وأرى الإعجاب في عين أميرتي فاتجراً في الفسحة وأتحدث معها، فأفوز بالأميرة بغير عناء. وتمر الأيام وتهترئ جلدة الكشكول من أثر الكتابة والمسح، وأبحث عن طريقة بديلة فغداً حصّة إملاء جديدة وسام آخر على صدري، أكتب المقطع المطلوب حفظه في ورقة وأطويها بعناية وأضعها في جيبتي. لم تكن هناك خطة محددة. ويطلب الأستاذ حمدي من الطلبة المتفوقين -وأنا واحد منهم- أن ينتقلوا إلى الدكك الأخيرة، ويسحب كرسيه ويجلس في المقدمة لمراقبة التلاميذ الخائبيين الذين لا بد أن يكونوا غشاشين، ويترك لي مساحة من الحرية. أفتح الورقة وأرمي بها بين قدمي تحت الدكة، أدقق النظر في الحروف والكلمات فلا أميزها. أعاني من نظري الضعيف، ومن اضطرابي المخيف، أحاول أن ألتقط كلمة واحدة فأعجز. وإذ بيد قوية تنزل على قفايا، تصطدم رأسي بحافة الدكة، قبل أن أستوعب ما يدور يلتقطني هو كفار مقزز ويركلني، ركلة كفيلة بأن تطيح بي. الجميع عيونهم معلقة عليّ وأنا عيني معلقة



عليها وأميرتي مذعورة. يلتقط الورقة من على الأرض، ويرفع  
بدليل إدانتني.. يصرخ.

- ليه؟

مصدوم هو بلا شك. لا أرد. الذهول أقوى من الجميع.

- اقلع الجزمة.

مازق آخر... الشراب مقطوع وبانس مثلي. أتسمر. ينهال علي  
بالعصا كمجنون.

- اقلع الجزمة.

أتكع في خلعتها، يزداد غضبه، يحماني، ويحطني على الدكة  
الأمامية ويخلعها هو، ويأمر العيال بأن يكبلوني، يختار منهم  
الأشرار والعملاقة، ثم يضربني على قدمي 10 ضربات موجعة،  
لا أملك نفسي فأبكي، وأتحاسى النظر إلى أميرتي. حين ينتهي  
يأمرني بأن ألق الفصل كله فأفعل، ثم يعود ليضربني عشر ضربات  
أخرى، نار تحرق قدمي، أتقافز ككتكوت على صفيح ساخن، يعاود  
ضربي مجدداً، أعتقد أن عقابه سيكون أبدياً غير أنه يمزق كراستي  
ويلقي بها في سلة المهملات ويخرج.

البعض ينظر لي بشفقة، والبعض ينظر لي بشماتة، وأنا منكس  
الرأس ومهزوم، وعار، ولا أملك غير أمنية واحدة: أن تتشق الأرض  
وتبتلعني.

وقت المرواح لا أذهب إلى شقتنا، أخرج من المدرسة وأجري على بيت ستي. حين تفتح خالتي الباب تُصعق وتخبط صدرها.

- مالك؟

أرد بصوت ذليل.

- مافيش.

تتأمل وجهي، وتتفحصه.

- إزاي مافيش؟ انت شكلك مضروب.

أنهار وأصرخ وأقول لها:

- أنا عاوز أبقى شاطر.

تحاول أن تجبرني على الهدوء فلا أهدأ. أردد بإصرار.

- أنا عاوز أبقى شاطر.

بعد الغداء، تفرش الكتب المدرسية على الأرض وتراجع معي الدروس، أنتبه لها تمامًا.

في حصة الإملاء يُجلسني أستاذ حمدي جواره، يترك الفصل كله ويركز معي، أسلمته الكراسة بلا خطأ واحد، يراجعها أكثر من مرة، ويقلب فيها ثم يعطيني الدرجة النهائية دون أي مدح.

يتجنبني العيال، وأحاشاهم أيضاً، وأنظر إلى أميرتي فتبدو  
كنكري بعيدة وموجعة.

## (2)

من تحت السرير أسحب قفص العيش، وأخذ من أمي جنيتها لأشتري الخبز، وحين أخرج من الشارع ألمح بلية تلمع على الأرض، أنحني والتقطها، أتأملها بإعجاب مؤمناً أنه يوم حظي.

عند القرن ينتظرني طابور طويل من البشر، أسأل عن آخر واحد في الصف ثم أخبره أنني خلفه، وأطلب منه أن يحجز لي مكاناً فيوافق. أبحث بالقرب من القرن عن طريقة لتزجية الوقت. هناك، وعلى بُعد عدة خطوات يتجمع العيال على الأرض حول أشرف المجنون. أشرف المجنون وهب نفسه للألعاب، مرت به الأيام والسنوات، الطفولة والمراهقة والشباب، وهو طفلاً لا يزال، يكبرني بعدة أعوام غير أن عقله أصغر من سنه بكثير، يكرس حياته للعب، في مواسم الطائرات الورقية تكون طائرته هي الأكبر والأبعد، تتوسط السماء

بالوانها المميزة الخلابه، وفي مواسم النحل، تكون نحلته مزينة وبسن قوي حاد بإمكانه أن يفلق أي نحلة إلى نصفين.

نحن الآن في موسم البلبي، وهو يملك منه الكثير، الكثير جدًا، يجلس مقرصًا ويلعب الرفة، والعيال من حوله بلا حول ولا قوة، يفوز عليهم جميعًا.

انضم لهم وأشاركهم اللعب، استخرج بليتي من جيبتي وأضعها على كفه، أخمن.

- كتابة.

يكشف عن العملة فإذ بها كتابة. الآن حان دوري، أخذ العملة وأطوح بها في الهواء كما يفعل الحكم في بداية مباراة الكرة، التقطها من الهواء وأدب بها على الأرض، يضع بلية وأخرى، يقول:

- ملك.

فإذ بها كتابة. يسألني بضيق:

- معاك كام بلية؟

أعدهم.

- أربعة.

يعد بدوره أربع بليات وطالبني بأن العيب، والعب. وأفوز  
فيغتاظ.

يضاعف العدد.

- ملك.

فتظهر العملة كتابة. يضاعف العدد.

- كتابة.

فإذ بها ملك. الحظ يحالفني. يتوتر، وأسعد أنا بمكسبي. ونستمر  
في اللعب، وأستمر في المكسب، يزداد غضبه، ويتابع العيال باهتمام  
وتشجيع، فيداعب ذلك جنونه.

يظهر ناجي فجأة، ما إن يراني حتى يجري نحوي.

- انت قاعد بتلعب هنا واحنا قالبيين عليك الدنيا.. موتنا من

الجوع.

ويلاحظ أن عبي قد امتلأ بالبلي. أقول لـ أشرف.

- كفاية كدا.

فيقبض على حجر ضخم ويزبد ويطلق شرراً، يخبط بالحجر

على الأرض، ويتوعد:

- كفيني.

ويتوجس ناجي، ويهمس لي بأن أخسر، وأحاول صادقًا أن أخسر  
غير أنني أفوز في كل مرة.

يتشنج أشرف، ينتفض، أذعر وأقوم، فيزداد هياج، رغبة  
تخرج من فمه، يتحسرج، يقول ناجي:

- إنيهم له.

قبل أن أعطيه ما يريد يكون الجنون قد اجتاحه، يفتك بكل من  
يتسرب منه، نفر من حوله مذعورين، يتحول إلى وحش ثائر،  
يقبض على طفل صغير ويخبطه بالحجر على رأسه.

يموت الطفل، ويقبض على أشرف ليقضي ما تبقى من عمره  
في المصححة النفسية حيث يجب أن يكون.

## (3)

عند السكك الحديدية نلعب ونضحك، ولكن صرخة تصدر من بيت أم طلعت تَقْتَل ضحكاتنا، نترك الكرة ونجري على مدخل البيت، بالحوش تداهمنا الدهشة؛ كلبة الصعايدة التصقت بحزن ابن العجر، يبدو أنه استدرجها -أو استدرجته هي- إلى هنا، وحاول أن يعمل معها "واحد" غير أن ظهور طلعت المفاجئ أفسد كل شيء، الكلبة المرعوبة ضاق فرجها من الخضة وتشبث بعضو حزن، وحزن يصرخ والكلبة تصرخ، وطلعت يزعق:

- يا ابن الكلب يا وسخ هتجسوا البيت.

ويسحب خشبة وينزل بها على ظهر الكلبة، والكلبة تعوي، ونحن نتربص لها بالطوب والعصا. تسحب حزن وتحاول الفرار به، ملتصق هو ولا يملك من أمره شيئاً. نعترض طريقهما، تزمجر وتكشر عن



أنياب مخيفة، نبتعد عن باب البيت وننهال عليها بالطوب.. تخرج إلى الحارة ولا يزال حزن عالقاً في مؤخرتها، ينتبه لهما الجميع، يخرج الناس من الدكاكين وتطل النساء من الشرفات. والكلبة حائرة لا تعرف كيف تتخلص من جرمها ولا لأي الطرق تسير؟ عند منتصف الحارة تصبح محاصرة تماماً... حسن الحلاق وحمادة السمكري ورضا شيخ الجامع أمامها، والصعايدة وطلعت ونحن خلفها. وكل واحد منا يبحث عن حجر، يلتقطه ويحذفها به، والكلبة تنن والولد ينن، وتقول امرأة من جهة ما:

- عيال وسخة. مالفوش غير الكلاب؟

وترد أخرى:

- من قلة النسوان يا ختي.

ويهتف الشيخ:

- أعوزه بالله، دا فعل قوم لوط.

ويقترح الحلاق:

- مش هيفكوا من بعض غير بالمية السخنة.

ينطوع ناجي ويحضر مياهها مغلقة في غمضة عين، وينظر له حزن متوسلاً، وقبل أن ينطق بكلمة يلقي عليهما ناجي المياه وهو يقول:

- بس يا عرص يا نياك الكلبة.

وتنبج الكلبة بصوت متحشرج ثم تفكه وتجري، ويبقي حزن خلفها بعضو متسلخ. يداري سوءته، ويبكي. ويقتحم الغجر المكان كما اقتحمه الصعايدة، وتهب فيهم أم حزن وتحتضن ابنها، ويقول حسين ابن الصعايدة:

- ابنك الوسخ مالا قش غير الكلبة بتاعتنا.

ويرد نور:

- فضحنا في المنطقة.

ويعلق أبو حزن:

- خلاص يا إخوانا إن كان الواد غلط يصلح غلطته.

ويتدخل الشيخ رضا:

- يصلحها إزاي بس؟

ويشد الأب من كيس الكولة ويوضح:

- يتجوزها.

وتروق لي الفكرة، وأتخيل حزن في الكوشة وإلى جواره العروس الحسنة في فستان الفرحة وقد تزينت ووضعت على رأسها باروكة صفراء. وأتخيل حياتهما الزوجية وما يعقب عليها من أبناء، وأتساءل: ماذا سيأخذون من الأم وماذا سيأخذون من حزن؟

(4)

يُطرد ناجي من كل شغل يلتحق به. لا يستقر في عمل لأكثر من يومين.

وتقول له أمي:

- يا بني ربنا يهديك ركز في شغلانة.

فيعترف لها أنه لم يجد العمل الذي يستوعب إمكانياته.

ويغيب عن البيت بالأيام ويعود محملاً بالمال والهدايا. وتظن أمي أن ربنا فتح عليه من وسع فيقبل يدها ويطلب منها أن تدعو له بالستر، وتكشف رأسها وتدعو له وهي مبسوطة بما جلبه. ويبقى الراوي منزويًا يتطلع إلى لوحة جديدة، يحصل على نصيبه فلا يرد بشكر أو بكلمة طيبة.

وتأتي الإجازة فأبحث عن عمل، وألجا إلى نعناعة القهوجي،  
 فيعلن أن الحال واقف ويتمنى من الله أن يفكها على الجميع.

الح على ناجي أن يشاركني في عمله، يقول:

- اللي انت عاوزه هيوصلك.. كتب، دروس، المهم تنتبه  
 لمستقبلك.

أتمادى في إلحاحي فيصر بدوره على الرفض. لا آياس، وتحت  
 ضغطي وزني يرضخ ذات مرة ويخبرني أن عمله يتطلب السرية  
 التامة والكتمان، أقسم له بأن لا أفشي سره، وأنني ساكون عند  
 حسن ظنه. ونخرج بعد منتصف الليل، في طريقنا أسأل عن ماهية  
 العمل، فيطالبني بالصبر. وأصبر في جو مقلق ومريب.

عند شارع منعزل يستخرج من حقيبته الصغيرة كوفية، يلفها  
 حول عنقه ويداري بها وجهه ويناولني واحدة، ويطلب مني أن أفعل  
 مثله فأتأكد أنني مقدم على جريمة. ويمر رجل مترنح في الظلام  
 كأنه شبح، يعترض ناجي طريقه شاهراً مطواته فإذ بالرجل يرتجف  
 ويتوسل طالباً الرحمة، يأمره ناجي بأن يخرج ما في جيوبه، فيفعل  
 الرجل بلا تردد وهو ميت في جلده، ينغزه ناجي بظهر المطواة  
 ويطلب منه الرحيل، فيبتعد غير مصدق أنه قد نجا.

في شارع جانبي يعد ناجي الفلوس، أستبشر وأنتظر نصيبي.  
 بدلاً من ذلك يدس الفلوس في جيبه.

امثاله:

- فين نصيبي يا برنس؟

- مش قبل ما أمك وأبوك ياخذوا حقهم.

في البيت يمد للراوي علبة السجانر السوير وقرش حشيش،  
يشكره الراوي بطريقته المعتادة، يبصق في وجهه ويتمني من  
الله أن يولع فيه بجاز وسخ، ويمسح ناجي البصاق ويبتسم برضا.  
وترقص أمي من السعادة. وأعد أنا نصيبي وأحزن على ما ضاع  
منه. وأندم على مجهودي الذي راح. وأتساءل: طالما أن نصيبي  
سيأتي في كل الأحوال... لَمْ المخاطرة والتعب؟

## (5)

يشمشم وحشى عن لقمة، لا طعام في البيت... أمي خرجت من صباحية ربنا تسعي وراء رزقها/رزقنا ولم تعد، وناجي مختفٍ من يومين، ربما يكون قد قبض عليه. أما الراوي فقد توحد مع لوحته، وسواله جريمة. وأنا جائع. ألبس الشبشب، وأفتح الباب، على عتبة الباب يداهمني شوال غلة، أسأل الراوي مندهشًا:

- إيه دا؟

يترك عالمه ويقوم ليستطلع الأمر:

- دا رزق.

ويشير لي.

- دخله.

أحتضن شوال الغلة وأحاول أن أرفعه عن الأرض فلا أقدر، غذاء كثير لا أستطيع حمله وحدي. والراوي لا يساعد أحدا. أزحزح

الشوال، وأجره، أسحبه بصعوبة وأركنه في الصالة، يعود الراوي إلى جلسته ويضيف.

- لو حد سألك إحنا ما نعرفش حاجة.. واقفل الباب.

أغلق الباب وبينهمك في لوحته، ولا يتكلم، وأنظر أنا إلى الكنز ولا أتكلم.

أخمن أن الغلة مسروقة من قطار الصوامع، العرب مشهورون بسرقة الغلة، ربما يكون أحدهم سرق الشوال ولم يتمكن بالهرب به فتركه هنا وسيعود لاسترداده في الوقت المناسب. وتمر ساعة وتمر أخرى وأنا ممزق بين الحيرة والجوع، الطعام أمامي يكفي حمارين، الحمير بإمكانها أن تأتي على الشوال بسهولة ويسر. أما نحن فعلينا أن نطبخ. ولكن كيف نطبخ القمح؟ يحمل الراوي إجابة لسؤالي.

- عارف عمك عياط بتاع القول؟

بالتأكيد أعرفه.

- روح قول له أبويا عاوزك وهات معاك العربية.

النقط ما يعزم عليه، أقول:

- يمكن حد يجيب يسأل عليه.

يرد بتلقائية:

- يبقى حرامي ونضربه ونسلمه للنقطة.

وجهة نظر معقولة.

- قدر الحكومة هي اللي جت؟

يرد بنفس التلقائية:

- ما إحنا كنا جاييين الكارو عشان نسلمه للنقطة.

وجهة نظر مذهلة.

وأروح وأعود بعم عياط شخصيًا، ويشترى عياط الغلة، ويعد له 50 جنيهًا عداً ونقداً، ويحمل الشوال، ويرحل في سلام، وأنا سعيد ومستبشر وجائع.

والراوي أيضًا جائع، ويجلس ويتمجلس، ويسألني:

- تاكل إيه؟

وأفكر في المذاذات كلها. وأستعجب أن هذا العرض يأتي من الراوي، وأتذكر ناجي وعروضه المدهشة.

- اخلص قبل ما أمك ترجع ولا الخرا أخوك.

ماذا أكل؟ وقبل أن أفكر في إجابة، يصيح هو.

- أقول لك.. جري على سيد كفتة هات لنا فرختين.

وقبل أن أجري يضيف:

- وعلبة سوبر.

هذا أكثر مما تمنيت. يحولني الجوع إلى عداء. وحش يلهث

على وجبة شهية.

أقف أمام الشواية وأستنشق الدخان الشهى فيثير حماسة وحشي.

في البيت، يرفع الراوي اللوحة ويضعها على الأرض.

- أفرش الأكل عليها.



أفرش الطعام على اللوحة، في اللوحة فرد ضخم نائم على شجرة موز عملاقة، يأكل الموزة بيد وبالأخرى يداعب بتاعه، أضع علبة الطحينية على بتاعه. تثيرني الرائحة الطيبة، وقود الحياة أكثر. أجلس على الأرض وأكل، أمزق لحم صيدي الثمين وأنهل عليه، وينظر لي الراوي ويقول وهو يلوك الطعام.

- مش عاوزين نسيب أثر لحاجة.. كل اللي تقدر عليه وزيادة.. ما تخليش حاجة.

وأفترس الفرخة وأنعم.

ثم يسألني.

- انت معاك كام؟

أسحب الباقي من جيب القميص العلوي، أقول:

- 15 جنيها..

- طب خذ خمسة وهات الباقي. وكُل.

أناوله الباقي، وأربت على وحشي النائم من التخمّة، ثم ألم ما تبقي والتقط اللوحة وأركنها كما كانت، وألف بقايا الطعام وأحتار: لو رميته في الزباله أكيد هيعرفوا.

ويؤكد الراوي على ظني، ويقترح أن أرمي به على السكك الحديدية، وأن أرمي اللوحة أيضًا. يعلق:

- اتزفرت وأنا ربنا رزقني بكلية بلدي.

حين أعود أجدها قد عادت، تستقبلني سائلة:

- أكيد فرفرتوا من الجوع.

لا بد أن أبدو لها مفرراً من الجوع.

أسألها.

- انتي كنتي فين كل دا يا أما؟

وأدخل. الراوي بدأ في لوحة جديدة. أجلس على الكنبه، تغلق

الباب، وتقول وهي تخلع الطرحة.

- بشحت.

تجلس إلى جوارِي، وتخرج من عيها كيس قماش، تفتحه وتصبه

على حجري.

- خد عد دول.

تقوم، وتخلع الجلباب، وتتشغل هي بالراوي الذي يبدو متضايقاً،

وأنشغل أنا بالعملة، أصنفها، أصنع تلا من كل فئة، الشلن، البريزة،

الربع جنيه، الخمسين قرشاً.

تسأل مستغربة:

- انتوا ايه ما جوعتوش؟

تفتح لفة سندويتشات وتفردها على التراييزة، تفوح رائحة

الطعمية والفول.

تسألني:

- طلعوا كام؟

أكبش من تل الفنة الأعلى، وأصب في جيبي، أقول:

- لسه ما خلصتتش عد.

فترد:

- طب انزل كُل الأول.

وتفتش في السندويتشات حتى تعثر عليه، تلتقطه وتقدمه للراوي.

- دا فول بالببيض.. اللي انت بتحبه.

ويرد بتأفف.

- مش عاوز.

تندش.

- انت هتغضب على اللقمة؟

بحزم.

- حطي في بوء أمك خرا.

أنتهى من عد الفلوس، أعيدها إلى الكيس القماش، وأغلقه جيدًا،  
ثم أحده لأمي وأنا أقول:

- 12 جنيها.

تلتقطه بلهفة وتقبله.

- رضا.

ثم تسألني.

- سألت على أخوك؟

لا أرد، فانا لست في حاجة له. فقط أفتح الباب وأخرج.

على ناصية الشارع أعدد عملات أمي، 7 جنيهات، أسهم مع  
فلوس الراوي، وأملس على وحشي المطمئن، وأفكر في يومي  
الجديد: كيف أقضيه؟

# المؤلف في سطور

عمرو عاشور

- روائي وصحفي مصري، من مواليد القاهرة، درس الفلسفة في جامعة القاهرة وتخرج منها 2003.
  - له ثلاث روايات... دار الغواية، كيس أسود ثقيل، رب الحكايات. جميعها عن دار ميريت للنشر والتوزيع، ومسلمل إذاعي على 95 f.m بعنوان "أبو لبدة والشاويش".
  - حصل على جائزة ساويرس للشباب 2013 عن رواية كيس أسود ثقيل.
  - كما اختيرت روايته رب الحكايات كأفضل عمل روائي 2016 عن جريدة الأهرام إيدو.. واختير مخطوط مجموعته "أينشتاين" ضمن أفضل عشر مجموعات في مسابقة كتاب اليوم من مؤسسة الأخبار.
  - حصل على منحة وزارة الثقافة لأربع دورات متتالية.
- البريد الإلكتروني:

[amrashour1000@gmail.com](mailto:amrashour1000@gmail.com)



الأعمال الكاملة

[t.me/kotbhm](https://t.me/kotbhm)

# قانون البقاء

"لم يكن في شقتنا مطبخ، وأمي فكرت ودبرت واستغلت ببير السلم، وببير السلم كان وطناً لمخلوقات عجيبة، شعبة من العفن والديدان والفئران والحشرات. ولكننا استطاعت في حملة تنظيف شرسة إبادة الشعب المسكين. واشترت "بوتاجاز" بأقساط - مات صاحبها من العلة- وجعلت منه مطبخاً. أما الشقة فهي في الدور الأرضي من بيت جدتي، أوضة وصالة وحمام بلدي لا يتسع غير لقاعدة صغيرة وطشت مياه وحنفية منخفضة. تلك الشقة هي الحلم الوحيد الذي حققته أمي".

"قانون البقاء. حياة مدهشة لابن الراوي" هي الرواية الرابعة لـ "عمرو عاشور" وفيها يعيش ابن الراوي في صراع دائم بين الإنسان والآخر الذي يتمثل في تابوهات هي مكسورة من الأساس. ناجى وعادل وعالمهما الذي أجبرهما على التخلي عن كل ما هو إنساني رغم محاولتهما في أن يستمرا ويبقيا في حياتهما العبثية وغير الأدمية بالمرّة. ربما تكون "قانون البقاء" امتداداً لرواية "عمرو عاشور" السابقة "كيس أسود ثقيل" ولكن من منظور مختلف كلياً ليرسخ مشروعه الروائي المتميز بين أبناء جيله بتحطيم صورة البطل النموذجي.

